المركز
العربي
للمعارف

مدحت فؤاد

عرب ما بعد العاصفة



مدحت فؤاد

عرب ما بعد "العاصفة "

الناشر

المكتب العربى للمعارف

اسم الكتاب : ـ عرب ما بعد " العاصفة "
اسم المؤلف : ـ مدحت فؤاد
تصميم الغلاف : ـ كامل جرافيك
الصف والاخراج : ـ المكتب العربى للمعارف
الطبعة الاولى : ـ نوفمبر ١٩٩١

رقم الايداع بدار الكتب القومية ٨٨١٢/ ١٩٩١
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5162-01-0

الناشر
المكتب العربى للمعارف
٢٣ «أ» شارع الامام على ـ ميدان الاسماعيلية
مصر الجديدة
ت ـ ٢٩٠٠٣٢٣

إهداء

إليك مصر، حب لا ينتهى ...

مدحت فؤاد

مقدمة

■ بداية ما أصطلح على تسميته بـ " أزمة الخليج " ... ، وخلال إعداد المسرح الخليجى ـ العربى ... لـ عاصفة الصحراء وإنتهاء من عملية " تحرير الكويت " .... كانت هناك العديد من الجولات والزيارات المتعاقبة لوزير الخارجية الأمريكى چيمس بيكر ... لمنطقة الشرق الأوسط ... ، والتى ربما كان قد بدأ الإعداد لها قبل أكثر من ثلاث سنوات ...

وعقب جوله " بيكيرية " .. إلى بعض دول المنطقه ... على غرار الجولات " المكوكيه " ... لهنرى كسينجر ، وزير الخارجية الأمريكى الأسبق ـ إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ ... أعلن عن موعد ومكان عقد مؤتمر السلام ... ، والذى إنعقد فى الموعد والمكان المحددين .. وسط الكثير من التكهنات المتباينه من الحذر والحيطه .. والتفاؤل والتشاوم ... والأمل المحفوف بالتحفظات فى حل لقضية الشرق الأوسط والمتمثله بالأساس فى القضيه الفلسطينيه ... وتعاقبت ... وتبادلت ... وفود الدول المشاركه فى المؤتمر الكلمات والتصورات والأطروحات ... والأمنيات ... والتحفظات .. ، ومن قبلهم أكد كل من الرئيسان الأمريكى چورچ بوش ، والسوفيتى مخائيل جورباتشوف على أنه ربما تكون هذه هى الفرصه الأخيرة لإحلال " سلام " ... فى الشرق الأوسط .. !

والمؤتمر .. كما هو معروف وكما أعلن .. سيكون على " مراحل " غير معلوم حتى الأن ـ على الأمل بالنسبه لمراحله النهائيه كم ستفرق من الوقت .. بدءاً من مرحلة المفاوضات الثنائيه بين الأطراف المعنيه والمشاركه .. !! أو بمعنى آخر .. من " كامب مدريد " إلى " كامب القدس "... كم ستكون سنوات المفاوضات .. ؟!

وعلى حد قول الرئيس الراحل أنور السادات حينما كان يستخدم تعبير " أن مصر ـ أكتوبر

١٩٧٣ " ... هى ليست مصر ـ ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ .. فى كل أحاديثه وخطبه .. وكان يسوق فى ذلك العديد من المبررات والأسباب ..

فهل العرب قبل "العاصفة" .. هم العرب "بعد العاصفة" ...؟! هذا هو السؤال الذى نحاول الإجابه عنه من خلال هذا الرصيد والتحليل وبعد ما حدث من متغيرات عالميه ودوليه وإقلمية وعربية ... من المفترض بعدها أن يكون لمنطقة الشرق الأوسط والقضيه الفلسطينيه والصراع العربى ـ الإسرائيلى .. جانب هام وخطير .. بل وربما أولويه مطلقة .. أجمع كثيرون على ضرورة وأهمية إيجاد حل مناسب لها ... ورفعت شعار هذا الحل ... الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس چورچ بوش ، والذى يعتبر " إئيس مجلس إدارة العالم " ـ حاليا ـ إذا جاز التعبير ...!

ولم تأت محاولة ... أو مبادرة الولايات المتحدة الأمريكية لحل القضية الفلسطينية من فراغ .. ، وإنما بعد أن تأكد العالم أن الإدارة الأمريكية حينما أرادت أن تنهى إحتلال العراق لأرض الكويت وتعيد الأرض لأصحابها الحقيقيين .. كان لها ما أرادت ..! وأدار الرئيس الأمريكى الأزمة بمنتهى الإقتدار .. وقمة الأستاذيه .. مما جعل علامات الإستفهام والتعجب تلاحق الإدارة الأمريكية .. لماذا إذن لا يكون نفس الموقف من قضية إحتلال إسرائيل لأرض فلسطين مثلما كان الموقف من قضية إحتلال العراق لأرض الكويت .. ؟!

وحول هذه .. وتلك .. وعن إحتمالات الحل للقضية الفلسطينية .. ، كانت هذه التصورات ... !

مدحت فؤاد

أكتوبر ١٩٩١

الفصل الاول

العرب بعد العاصفة

ثوابت ومتغيرات الموقف الأمريكى فى أزمة الخليج ...!

عند مناقشة الدور الأمريكى فى منطقة الخليج قبل وبعد الأزمة التى اصطلح على تسميتها بحرب تحرير الكويت ، وهى الأزمة التى بدأت رسمياً يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ وأن كانت تداعيتها قد بدأت قبل ذلك بكثير ، حيث يرجع كثيرون بداية الأزمة إلى قمة بغداد عام ١٩٧٩ ، عندما اجتمعت جبهة الصمود و التصدى بقيادة بغداد لأخراج مصر من التجمع العربى ، مما تم اعتباره على أنه دليل يؤكد نية النظام العراقى المسبقة لاحتلال الكويت والاستيلاء عليها بالقوة ، بينما ترى أراء أخرى فى حديث السفيرة الأمريكية فى بغداد أبريل جلاسبى للرئيس العراقى صدام حسين الضوء الأخضر لبدء عملية احتلال الكويت .

على أية حال كانت الأزمة موجودة ومستحكمة منذ أغسطس ١٩٩٠ ولم تنتهى بعد رغم هزيمة العراق العسكرية والسياسية وطرده من الكويت ، فكما أن الأزمة لم تبدأ باغتصاب الكويت فأنها من المؤكد لن تنتهى بتحريرها .. !

لقد تعرضت الثوابت والمتغيرات فى السياسة الخارجية الامريكية لعدة تغيرات فى السنوات الأخيرة ، وبالتحديد فى منتصف الثمانينات ومنذ أن أعتلى جورباتشوف مقعد السلطة فى الإتحاد السوفيتى .

فهناك بلا شك مراجعة حقيقية لكافة السياسات الخارجية الأمريكية بعد أن تحول الوفاق الدولى الذى شهده العقد السابع من هذا القرن إلى تفكك المعسكر الشرقى وإنهيار نظمه السياسية والعسكرية والإقتصادية ، الأمر الذى أفرز فى النهاية اعلانا عالميا بانتهاء الحرب الباردة ، وأخذ شكل العلاقة بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى يتغير من التنافس والتناحر إلى التعاون والتكامل .

وكان لابد أن يكون هناك ما يسمى "بنظام عالمى جديد" يستبدل النظام القديم ثنائى القطب بنظام آخر أحادى القطب يفترض فيه تغليب الإرادة الدولية المتكونة من نتاج التفاهم والتعاون

الدولى ، والذى تلعب فيه أمريكا القوية دورا أساسياً بإعتبارها على رأس تحالف الأغنياء الأقوياء ، والقادرة على حشد الرأى العام الدولى لصالحها .. وربما يفسر هذا الأصرار على أن تكون لهيئة الأمم المتحدة سلطة أقوى وأكثر فاعلية فى النزاعات التى يتعرض لها العالم .

أن الدور الأمريكى قبل الأزمة يتحدد إذا بعوامل نشوء النظام العالمى الجديد ، وتجىء دول الخليج فى صدارة اهتمام هذا النظام رغم كونها من الدول الصغرى طبقاً لترتيب القوة ، ولكنها تملك فاعلية فى النظام الإقليمي وهى محل تنافس دولى بما تملكه من " بترول " يؤثر تأثيراً كبير على الحياة فى الغرب ، أى فى الدول الغنية القوية .

ونلاحظ فى تكوين دول الخليج تقارب أنظمة الحكم مع اختلاف واحد فى العراق ، وغياب الديمقراطية فى معظم المنطقة بما فى ذلك العراق ، و ان كل هذه الدول تميل فى سياستها الخارجية إلى التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة ، حتى بأننا نستطيع أن نقول أنه كان يوجد قبل الأزمة تأثيراً كبير لنفوذ أمريكى فى معظم الدول الخليجية ، مع استثناء واحد ، هو العراق ، الذى ارتبط بأواصر صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

على أن هذه العلاقة ـ العراقية السوفيتية ـ كان يتوازى معها تصاعد فى تحسين العلاقات الغربية العراقية خاصة بعد (احتلال آيات الله لمقاعد الحكم فى إيران ، ونشوب الحرب العراقية الإيرانية) .

فقد انتشر تصور فى الغرب ـ وفى العالم العربى أيضاً ـ بأن العراق تقف أمام مد الثورة الإسلامية الإيرانية إلى باقى دول المنطقة ، مع ما يشكله ذلك من زيادة نفوذ " الشيعة " المخالفين " للسنة " الذين تتألف هذه الدول من معظمهم ، خاصة وأن إيران أطلقت شعاراً ، وعملت على تنفيذه ، وهو شعار تصدير الثورة ..

وإذ أحس الغرب بالخطر من إيران لما تمثله من خطورة على مصالحها فى المنطقة ، أوعزت الولايات المتحدة إلى حليفاتها الغربيات بمد يد العون للعراق فى مواجهته للثورة الإيرانية ، ومن هنا نشأت علاقات تتراوح بين السرية والعلانية بين جميع الدول الغربية بما فى ذلك الولايات المتحدة والعراق وخاصة فى مجال التسليح ..

وبعد انتهاء الحرب الإيرانية ظهر بوضوح أتجاه غربى لدعم العراق وتقوية العلاقات معه ، وظهر توافق وتعاون بين أمريكا والعراق لم يتحول إلا بعد أدراك واشنطن لاتجاهات عراقية لأمتلاك أسلحة الدمار الشامل وتدخل إسرائيل لمنع هذا الامتلاك مع ما يتبع ذلك من تهديدات

علنية للرئيس صدام بإبادة نصف إسرائيل ..

ولذلك يمكن القول أن العلاقات بين العراق وأمريكا شهدت فى السنة الأخيرة توتراً ملحوظاً ، ولكن كانت هناك محاولة لتهدئة هذه التوترات ظهرت بوضوح المحادثات أو الحديث الذي تبادله الرئيس العراقى مع ابريل جلاسبى السفيرة الأمريكية فى بغداد ، سواء فى النسخة الأمريكية أو العراقية التى قيل عنها أنها مزورة .

ولذلك يمكن أن نلخص الموقف الأمريكي قبل أزمة الخليج مع دول المنطقة كما يلى :

علاقات مستقرة مع دول الخليج البترولية ذات الإتجاه اليمينى مثل السعودية والكويت والأمارات وقطر والبحرين وسلطنة عمان ، وهى علاقات قديمة تأثرت من خلال النفوذ الأمريكى فى صياغة إقتصاديات هذه الدول ، وحماية هذه الدول للمصالح الأمريكية والغربية فى داخلها وفى المنطقة من خلال نفوذها السياسى والإقتصادي .

علاقات تعاون إستراتيجية مع إسرائيل بإعتبارها حليف عسكرى قوى فى المنطقة يحفظ التوازن الدولى بها لصالح أمريكا وحلفائها .

علاقات متأرجحة مع العراق ، تتراوح بين توتر الأزمة ومحاولة العمل على تهدئة هذه التوترات ، خاصة مع ضعف الارتباط العراقى السوفيتى لصالح تقوية العلاقات الأوربية ـ مع فرنسا على الأخص ـ وتغير النظرة إلى النفوذ السوفيتى الإقليمي الذى لم يعد يشكل يشكل نفس الخطر الذى كان يشكله فيما مضى على المعسكر الأمريكى .

تحسن تدريجى فى العلاقت المتوترة مع إيران ، خاصة بعد رحيل الخمينى وأمساك رافسنجانى (البراجماتى) بزمام الحكم ، وانتهاء الحرب العراقية الإيرانية ، وتطلع إيران إلى القيام بدور أكثر إيجابية فى المنطقة يساعدها على حل بعض مسائلها الداخلية .

علاقات متجمدة مع سوريا المتهمة من قبل الولايات المتحدة بالأرهاب ، سواء بسبب مشاركتها وحمايتها للأعمال الإرهابية الإيرانية أو لدعمها لليبيا أو لتواجدها فى مستنقع الاختطافات فى لبنان ، أو لأنها قاعدة لبعض العمليات التى تنطلق من سوريا . ولكنها ليست علاقات متدهورة نظراً لوضع سوريا المتميز فى الإقليم بإعتبارها م دول المواجهة لإسرائيل ، وبإعتبار وجودها القوى فى لبنان ولأعتبار المتعاظم فى القرار السياسى بالمنطقة كطرف معادل ومعاكس للعراق ، وكذلك لسبب ما سبق الإشارة إليه من النظام العالمى الجديد القائم على التفاهم والتعاون والذى فقدت فيه سوريا جزء من أهميتها بإعتبارها إحدى مناطق النفوذ

السوفيتى فى العالم .

علاقات تعاون مع مصر تتخلله بعض الخلافات بشأن صياغة السياسات الإقتصادية ، وبعض مشاريع التسليح التى ترى الولايات المتحدة أنها تمثل خطورة على التوازن العسكرى بالمنطقة الذى ينبغى أن يظل لصالح إسرائيل ضد الدول العربية مجتمعة ، وكذلك بسبب الموقف السياسى المصرى الرافض لموقف الحكومة الإسرائيلية المتشدد تجاه القضية الفلسطينية والهجرة والمستوطنات .

هذا هو موجز الموقف الأمريكى مع دول المنطقة قبل أزمة الخليج ، ولكن كل هذا ليس له علاقة مباشرة بالدور الأمريكى أثناء وبعد الأزمة ، وأنما نستطيع أن نقول أن : النظام الدولى الجديد " هو المحرك الأول لهذا الموقف .

أشكالية النظام الدولى الجديد

يرى بعض المحللين المهتمين بالسياسة الدولية ومن أبرزهم محمد سيد أحمد أن أزمة الخليج دليل على أن النظام الدولى الجديد ليس " نظاماً " وأنما هو " تكتيك " جديد تقوده الولايات المتحدة من أجل أن يتم أنهيار المعسكر الشرقى داخل اطاره بدلا من أن يكون الأساس القانونى والمؤسس لنظام المستقبل .

ففى الوقت الذى يتم طرح النظام الدولى الجديد على أنه أنتقال من عصر " المواجهة " الى عصر " التعاون " وبأنه مرجع فى معالجة النزاعات بين الشمال والجنوب وليس فقط تلك التى حكمت الحرب الباردة ، فأن الدول العظمى فى الغرب تستظل بهذا النظام وتتخذه مبرراً من أجل شن حرب فى منطقة الخليج ، وهو ما يطرح سؤلاً عن كيفية تبرير الحرب بنظام تم ابتداعه من أجل تجنب نشوب الحرب ؟

يقال أن الولايات المتحدة وظفت النزاع فى منطقة البترول ـ ذات الأهمية الحيوية لمقدرات العالم كله والعالم الصناعى فى المقام الأول ـ حتى يكون اختباراً لما سوف يكون عليه النظام الدولى الجديد ذاته ، واختبار تكوينه كنظام متعدد الأقطاب أم نظام تسيطر عليه قوة واحدة هى أمريكا بالطبع .

لقد كانت أغلب القوات المشكلة " للتحالف " قوات أمريكية ، وأمريكا فى النهاية هى التى

قالت العملية ، وقد أعلن بيريز دى كويار نفسه " أن الحرب فى الخليج جرت بتفويض من الأمم المتحدة ، ولكن لم تكن الأمم المتحدة هى التى قادتها " ، وهذا يرسخ من مفهوم قيادة الولايات المتحدة السياسية و العسكرية لأزمة الخليج ، لقد أصبحت أمريكا تبدو وكأنما هى المهيمنة على النظام ذاته وتأمينه لصالحها ، حيث أنها أستطاعت ترويض جميع الأقطاب المنافسة لها ـ أوربا الغربية واليابان ـ واعلنت وجودها بوصفها القطب الأوحد الذى أستطاع أن يلقن " متمردى الجنوب " درسا لن ينسوه .

بهذه المتغيرات الجديدة ـ التى أثرت بشكل كبير على ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية ـ أدارت امريكا أزمة الخليج ، وتحددت مواقفها خلال الأزمة على ضوئها ، فهو الهدف الرئيسى لأمريكا الذى يمكن أن يفسر ويبرر جميع تحركاتها ومواقفها خلال الأزمة ، والذى يمكن أن يضع تصوراً للموقف الأمريكى بعد انتهاء الأزمة .

ومن هنا نستطيع أن نستعرض الموقف الأمريكى خلال الأزمة واحتمالاته للاطراف الاخرى كما يلى :

١ ـ الموقف بالنسبة للسعودية :

شهدت أزمة الخليج أقصى درجات التوافق بين سياستى العربية السعودية والولايات المتحدة ، فالسعودية المعتزة بعزلتها قبلت أن تستضيف أراضيها مئات الألوف من القوات الأمريكية ، وقبلت أن تكون القيادة العامة لقوات الدفاع عن اراضيها والقوات المشاركة فى تحرير الكويت لأمريكا ، كما أنها ساهمت فى دعم المجهود الحربى بشكل كبير ، ووفرت المؤن والوقود للقوات الموجودة على أراضيها .

وبصرف النظر عن بعض المشاكل البسيطة الناشئة عن عدم توافق الظروف الأجتماعية المناسبة للضيف والمضيف ، وكذلك تلك التى نشأت عن الحادثات الخاصة بقيادة القوات المشتركة والمتحالفة ، لم يحدث ما يعكر الصفو فى العلاقات السعودية .

صحيح أن السعودية كانت تقف مع الحل السلمى حتى أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز صرح يوم ٥ يناير ١٩٩١صرح بأنه يأمل فى معجزة تؤدى إلى تسوية سلمية لأزمة الخليج ، وأضاف العاهل السعودى أنه فى حالة أعلان العراق بأنه سوف ينسحب

دون شرط من الكويت فأنه سيمكنه عندئذ طرح النزاع أمام الجامعة العربية أو محكمة العدل الدولية أو أى هيئة دولية أخرى ، لكن هذا الموقف السعودى لم يكن يخالف الموقف الأمريكى الصارم تجاه العراق إلا فى نبرة الخطاب الموجه للعراق الخالية من التحدى . فالرئيس بوش نفسه كان يناشد العراق التمسك بالحل السلمى ، ولكن كان يرفض مناشداته بتهديد العراق بطرده بالقوة من الكويت اذا لم يستجيب لهذا الحل السلمى ، ويرفض أى تراخ فى موقف الحلفاء تجاه العراق .

غير أن السعودية كانت دائماً تسارع الى دعم ومساندة القرار الأمريكى حتى وأن كان به بعض الأختلاف عن موقفها الرسمى المعلن .

أما فيما بعد الأزمة ، فليس من المتصور أن يختلف الموقف الأمريكى كثيراً ، فسوف تظل السعودية من أصدقاء الولايات المتحدة المقربين فى المنطقة ، كما ستحاول أمريكا دعم القدرات العسكرية ومساندة تحركاتها السياسية التى تهدف إلى إنشاء محور دفاعى يضم دول الخليج ومصر وسوريا بالإتفاق والتعاون مع دول الجوار الأخرى، كما أنها ستزيد من وجودها العسكرى فى الخليج وخاصة القوات الجوية والبحرية التى يمكنها تتخذ قواعد برية ثابتة ، وأنما يتركز تواجدها فى المياه الدولية ، مع استفادتها بالتسهيلات الممنوحة فى الموانىء والقواعد السعودية.

أما فيما يتعلق " بالمنظمة البترولية " التى طرحت من جانب بعض المحللين كبديل عن " المظلة النووية " التى كانت أمريكا توفرها لدول الغرب الأوروبى فى ظل الحرب الباردة ، فأنها لم تؤثر على العلاقات السعودية الأمريكية ، فأمريكا غير ملتزمة تجاه الغرب إلا باستمرار تدفق البترول اليها ، وهو ما يتوافق مع رغبة المنتج العربى فى تصدير بتروله ، ولكنها لن تتدخل فى سياسة الأسعار ، لأنها بلد تنتج للبترول ويهمها الحفاظ على مستوى أسعار انتاجها .

وعلى مستوى التنمية ومشروعاتها بالسعودية ، فسوف تحظى الشركات الأمريكية مع ازدياد قوة العلاقات السعودية الأمريكية بنصيب أكبر من هذه المشروعات ، وخاصة فى المجالات التقنية والصناعات المرتبطة بالدفاع والصناعات الإستراتيجية .

ومن الملاحظ أن أمريكا لم تضغط بأى درجة على النظام السعودى من أجل المزيد من الديمقراطية كما فعلت مع الكويت أو دول المنطقة الأخرى ، وهو ما يدل على رغبة الولايات المتحدة استمرار التعاون مع نظام الحكم الحالى وتدعيمه .

٢ ـ الموقف بالنسبة للكويت :

كان هناك أتهام خلال الأزمة موجه إلى أمريكا بأنها كانت سبباً فى احتلال الكويت باعطائها الضوء الأخضر لصدام حسين للقيام بعملية الغزو وبعدم تحذير الكويت بشكل كاف من احتمالات الغزو ، وأخيراً بالتباطؤ فى فرض الحل بالقوة على العراق .

غير أن كل هذه الإتهامات قد نفتها الولايات المتحدة بشدة وأكدت موقفها بالأفعال الحقيقية ، مما وضع دينا فى عنق الكويت يلزم عليها أن تؤديه لأمريكا التى قادت تحالفا أدى فى نهاية الأمر لتحريرها . وقد بدأت الكويت فى رد الدين حتى قبل أن يتم تحريرها ، فى صورة عقود ضخمة وصفت بأنها مبالغ فيها لإعادة تعمير الكويت (بمبلغ يصل إلى ٦٠ مليار دولار) .

ولكن هل ستحاول الكويت أن تتخلص من أعبائها الثقيلة ـ وهو الأمر الذى ينطبق على جميع الدول التى ساعدتها ـ وتتنكر لهذه الديون ؟ ليس هناك شك فى أن الكويت سوف تحاول هذا من أجل إعادة شىء من الاسترخاء والرفاهية التى كانت عليها ، ومن أجل التخفف من أعباء الضغط عليها من أجل التحول إلى الديمقراطية ، ومن أجل السعى إلى تحقيق أقصى درجات الكسب ـ كعادتها ـ ولكن ذلك سوف يخلق مشاكل داخلية وخارجية لها فى فترة إنتقالية تمارس فيها العزلة الإختيارية ، ولكن على المدى الطويل لا تتحقق مصالح الكويت إلا فى بقائها ضمن إطار التحالف الذى يحميها كتراب وطنى وكثروة نفطية .

على أى حال لن تكون العلاقات الأمريكية الكويتية سيئة ، ولن تكون بمستوى العلاقات السعودية الكويتية .

وعلى المستوى السياسى ستحاول الكويت أن تقدم موقفاً أكثر اعتدالا وأكثر تمشياً مع الموقف الأمريكى من قضايا المنطقة ، يساعدها على هذا رغبتها فى الانتقام من الأطراف التى وقفت ضدها فى أزمتها مع العراق ، أو حتى تلك التى لم تقف معها .

٣ ـ الموقف بالنسبة للعراق

لا يحتاج الموقف الأمريكى خلال الأزمة بالنسبة للعراق إلى مزيد من النقاش ، فقد قادت التحالف ضده ، ويرى بعض المحللين أن الأزمة كانت مدبرة سلفاً بين العراق وأمريكا ، وليس صدام حسين إلا دمية حركتها خيوط هذه المؤامرة ، ولكن النتاج الأخير للأزمة قال أن العراق

أعلن استسلامه غير المشروط لكل الرغبات الأمريكية .

هذا وقد حقق الموقف الأمريكى بالنسبة للعراق كل الأهداف خلال الأزمة ، فقد ضعفت القوة العسكرية العراقية إلى حد يفوق ما كانت تتمناه أمريكا وإسرائيل ، وضعفت السيطرة السياسية على داخل العراق من جانب النظام الحاكم وحزب البعث ، وتم تحرير الكويت ، وتقديم العراق " كبشاً للفداء " أمام باقى العالم كدليل على قوة وشكيمة النظام الدولى الجديد فى مواجهة تمرد " أهل الجنوب " وتمت السيطرة بواسطته على " متمردى الشمال " المخالفين لسياسة أمريكا (فرنسا ـ اليابان) .

يلاحظ فى الموقف الأمريكى بالنسبة للعراق خلال الأزمة مبالغتها فى تقويم قوة الجيش العراقى (رابع جيش فى العالم) كبادرة لتدميره بعنف ، وعنف الخطاب الموجه للقيادة العراقية كمحاولة للاستخفاف به وأذلاله بما يضمن عدم رده الإيجابى على أى مبادرة تأتى من الطرف الأمريكى ، وسوقه إلى المواجهة العسكرية .

كما أكد الموقف الأمريكى أيضا على التمسك بوحدة أراضى العراق وبقائه متماسكا كقوة توازن إقليمية ، وهو ما تأكد بعد الحرب من عزوف أمريكا عن مساعدة المعارضة العراقية من الشمال إلى الجنوب فى محاولتها لإسقاط سلطة البعث وصدام حسين .

من المتصور أن مستقبل العلاقات العراقية الأمريكية سوف يشهد تصاعدا إيجابياً ينتهى بالتوافق التام بين المواقف العراقية والأمريكية ، حتى أذا بقى صدام حسين فى السلطة ، فالذى سيبقى من صدام مجرد قائد مهزوم ، ضعيف فى بلده ، وهو ما تستطيع أمريكا أن تقبله وتتعاون معه . أما فى حالة سقوطه فان الدرس التاريخى لن يعيد سريعاً نمطاً مماثلا لصدام حسين فى حكم العراق ، وسوف تتحدد سياسات خلفه بقيود ومحاذير الخبرة الخليجية الأخيرة .

أمام العراق تحديات جسيمة من إعادة بناء وتسديد ديون الحرب وإعادة الحياة لمرافقه الحيوية ومنشآته الإنتاجية ، وترميم مواقفه السياسية المهترئة مع معظم دول العالم ، ومعظم الدول العربية، ولن يجد أمامه بديلا عن أمريكا لمعاونته على هذا ، خاصة بعد تراجع الأتحاد السوفيتى عن أداء دوره الدولى .

٤ ـ الموقف بالنسبة لبقية الأطراف :

من المستحسن تقسيم بقية الأطراف التى كانت لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بأزمة

الخليج إلى ثلاث مجموعات نوعية طبقاً لمحددات الموقف الأمريكى منها .

فهناك دول استمر الموقف الأمريكى معها ثابتاً لم يتغير مثل دول الخليج الأخرى (قطر ـ البحرين ـ الأمارات ـ سلطنة عمان) ومصر ، ودول اختلف فيها الموقف الأمريكى خلال الأزمة وبسببها مثل (سوريا والأردن وإيران) ودول سوف يتغير الموقف الأمريكى بالنسبة لها بعد الأزمة (إسرائيل) .

المجموعة الأولى ساعدت الولايات المتحدة أثناء الأزمة سياسيا وعسكريا ، ورحبت الولايات المتحدة بهذه المساعدات التى افرزت فى النهاية مزيداً من قوة العلاقات والتقارب ، وتطابق وجهات النظر . كما افرزت مزيداً من الدعم الامريكى وخاصة لمصر التى نجحت مساعيها لإلغاء الديون العسكرية المستحقة عليها للولايات المتحدة ، رغم أن هذه المساعى بدأت قبل الأزمة بوقت طويل ، ولكن نجاحها خلال الأزمة أكد على هذا المظهر " المكافئ " لهذا النجاح .

وبعد الأزمة سوف تزداد هذه العلاقات رسوخاً بمشروع التنمية الشامل الذى تحوله دول الخليج لصالح مصر وسوريا من أجل شبكة الدفاع الخليجية ، وخاصة عندما تتشارك مشروعات التصنيع الحربى المصرية مع الأموال العربية و التقنية الأمريكية .

أما المجموعة الثانية فقد استفاد الموقف الأمريكى خلال الأزمة بتقاربه معها ، وبفضل هذا التقارب اعلنت إيران حيادها خلال الحرب البرية والجوية بعد أن كانت قد بدأت اعتراضها على وجود القوات الأجنبية فى المنطقة فى الأيام الأولى للأزمة، وبفضل الاستسلام العراقى لإرادتها .. غير أن العلاقة مع إيران ستظل حذرة بسبب وجود رهائن غربيين فى لبنان مع أطراف موالية لإيران ، وبسبب رغبة طهران فى بسط سيطرتها على أجزاء من الجنوب العراقى وهو مشروع ترفضه أمريكا وسبق أن أعلنت عدم مساندتها له .

أما سوريا فقد كسبت خلال الأزمة تقاربا امريكيا ليس له مثيل فى تاريخ علاقات البلدين ، فأمريكا سعت إلى التقارب مع سوريا (لقاء بوش والأسد) وتخلت أمريكا عن وصف سوريا بالأرهاب ، وسوف تساندها ـ إلى حد ما ـ مع مطالبها خلال أى مشاريع مستقبلة لحل النزاع العربى الإسرائيلى ، ولم تبدأ أى معارضة ـ ومعها الدول الغربية ـ للخطوة السورية لتصفية تمرد الجنرال عون فى لبنان وتقوية النفوذ السورى هناك .

غير أن هناك حذراً سوريا ايرانيا من الموقف الأمريكى فى المنطقة بعد انتهاء الأزمة بسبب أفكار أمريكية عن بنية أمنية فى المنطقة تسمح بتواجد عسكرى أجنبي ، وكذلك يوجد تحفظ

سورى على أمداد إسرائيل خلال الأزمة بأنظمة صواريخ باتريوت ودبابات وطائرات متطورة جعلت بيكر يستثنى سوريا من زيارته للمنطقة خلال أكتوبر الماضى ، ورفض الأسد مقابلة مساعده چون كيلى فى نفس الوقت ، وذلك قبل أن يلتقى الأسد وبوش فى چنيف (٢٣ . ١١ / ١٩٩١) .

المستقبل فى العلاقات السورية الأمريكية محفوف بالحذر بسبب وجوده كطرف رئيسى فى النزاع العربى الإسرائيلى ، ورغبة أمريكا فى عدم الربط بين مواقف الدول الحليفة لها خلال الأزمة ، والقضايا الإقليمية الأخرى ، فليس من المتصور أن تقدم أمريكا على ربط المساندة السورية الإيجابية لحصار العراق وتسوية بقية قضايا الصراع مع إسرائيل ، خاصة وأن الرئيس بوش يستعد لإنتخابات الرئاسة فى العام القادم ، وأنه سوف يراعى ضغط اللوبى الصهيونى فى أمريكا ، وضغط أعضاء الكونجرس الموالين لإسرائيل الذين مايزالوا يضعون سوريا فى قائمة دول الأرهاب .

غير أن مشاركة سوريا فى الحزام الأمنى العربى وتقاربه مع مصر ودول الخليج وأنتهاء عزلته الدولية ، كل ذلك قد يجعل منها طرفاً صديقاً لأمريكا ومتحاوراً جيداً معها ، مما قد يعدل من رؤية المصالح الأمريكية للدور السورى المستقبلى فى المنطقة .

نفس الكلام يقال عن إيران خلال الأزمة ، وخاصة أنها لعبت دوراً هاماً فى المحاولات السلمية التى سبقت اندلاع الحرب ، ولكن بعد الحرب يصطدم الموقف الامريكى بالنسبة لإيران ببعض اطماعها فى العراق ، وفى السيطرة على منطقة الخليج ، ورفضها للنظام الأمنى أو الترتيبات الأمنية العربية التى جاءت فى اعلان دمشق ووافقت عليها امريكا .

فى المجموعة الثالثة تبقى إسرائيل ذات الوضع الخاص ، فهى ترتبط استراتيجيا وسياسيا بأمريكا والغرب ، وهى قوة التوازن الرئيسية فى المنطقة لصالح الغرب ، وقدمت خلال الأزمة تعاوناً مع الموقف السياسى للتحالف ولأمريكا برفضها الرد على صواريخ سكود العراقية التى انهالت على أراضيها ، وكوفئت على ذلك بالأسلحة والمساعدات الأقتصادية التى كانت تحتاج اليها .

غير أن سعى إسرائيل لأتخاذ موقف يميل الى الاستقلال والتميز فى الدفاع عن وجودها ومصالحها وأمنها قد يصطدم بالالتزام الأمريكى - الدولى - بالسعى نحو إيجاد حل عادل وشامل للنزاع العربى الإسرائيلى بما يضمن حقوق الشعب الفلسطينى ، وقد بدت بوادر هذا

الصدام فور انتهاء الحرب فى الخليج ، وعلى أثر تشجيع أمريكا مبدأ " الأرض مقابل السلام " الذى ترفضه اسرائيل لأنه يعنى قيام دولة فلسطينية تمثل خطورة على وجود اسرائيل وأمنها .

وسوف تجد امريكا نفسها بعد أنتهاء الأزمة مضطرة إلى تغيير موقفها سلبياً مع إسرائيل والا ستفقد مصداقيها مع أصدقائها العرب ، وتضع النظام الدولى الجديد فى مهب الرياح .

الفصل الثاني

النزاع العربى الإسرائيلى
بعد العاصفة

كان لأزمة الخليج تأثير كبير على المواقف التفاوضية لأطراف الصراع العربى الإسرائيلى فهى من ناحية قد أضعفت الموقف العربى بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ، ومن ناحية أخرى أضافت إلى رصيد إسرائيل التفاوضى قوة كبيرة ما كانت لتحلم بها من قبل .

فالعرب خرجوا من هذا الأزمة فى حالة من الضعف غير مسبوقة فى تاريخ العالم العربى الحديث على كل المستويات ، بما فى ذلك المستويات الأخلاقية والمادية .

بحسابات الأرقام خسر العرب فى هذه الحرب الآف الملايين من الدولارات كان من الممكن أن تكون سندا للأمة فى صراعها الحضارى مع باقى أمم العالم .

الحرب كما هى دائماً ـ لا يمكن أن تكون حلا لأى مشكلة ـ والحقيقة أن كل أطراف أزمة الخليج اجتهدت بأقصى ما تستطيع بأتجاه الحرب ، وليس بأتجاه السلام .. رغم كل التحذيرات من الحرب والتى جاءت من داخل العالم العربى ، ومن خارجه أيضاً .

من المنظور الإقتصادي رفضت الكويت التنازل عن ديونها للعراق ومنحه مساعدة مالية تبلغ ١٠ مليارات دولار ، ولكنها خسرت فى الحرب أضعاف مضاعفة من هذا المبلغ ، وأهدرت عددا كبيراً من الأرواح . والعراق كان طامعاً فى ثروة الكويت لحل مشاكله التى خلفتها حرب " ساذجة " طويلة مع إيران ، وبعد الحرب فقد العراق كل ما تباه خلال قرن كامل من الزمان . بالإضافة إلى هذا تكبدت كل دول الخليج غرامات ضخمة من تكاليف الحرب سوف تؤثر على دخلها لعدد من السنوات .

غير أن النتائج السياسية لحرب الخليج على مجموع الدول العربية ، وعلى قوة الكيان العربى فى مواجهة الكيانات السياسية الأخرى فى المنطقة وفى العالم سوف تذهب إلى مدى أبعد فى الضرر الذى ستتحمله الأمة العربية فى العقود القادمة .

من نتائج الحرب (طبقا لإجماع المحللين والمراقبين) :

(١) أن دول الخليج أصبحت تبحث عن أمن "مستورد" مضمون من الولايات المتحدة الأمريكية يتنافى مع أبسط نظريات توازن القوى قد يخلو من المصداقية ، فهى تنحى مصر وسوريا من المشاركة فى قلب الصياغات الأمنية وتهمش أدوارهما ، بينما تستقطب إيران إلى قلب هذه الصياغات .

ولعل هذا يعبر عن انهيار الإمكانيات التفاوضية " اليومية " المفترضة بين قيادات الدول العربية السياسية ، وهو ما يتضح دلاليا فى شكل اختلاف واضح مبين فى المواقف العربية تجاه الأحداث الدولية الكبرى .

وبعد أن ظل الأمن العربى ليس محل خلاف أو اختلاف فى أطار وضوح رؤية الصراعات الممكنة والمحتملة فى المنطقة ، أصبح الاختلاف مطروحا وبشدة فى أطار الأمن أيضا ، كما أصبح دافع الخوف من الشقيق العربى أكبر من دافع الخوف من العدو التقليدى .

(٢) أن القضية الأولى التى تستدعى بذل الجهد لتسويتها هى القضية الفلسطينية رغم صعوبات كثيرة أصبحت تقف فى طريق هذه القضية ، أولها الاختلاف على مفهوم الأمن القومى العربى ، وثانيها موقف منظمة التحرير الأنحيازى مع العراق والذى انتزع الكثير من مصداقيتها وافقدتها الكثير من تأييده ، وكذلك التعاطف الدولى الذى اكتسبه إسرائيل والذى تمثل فى تدفق المساعدات العسكرية والمالية مما شجع حكومة الليكود على إبداء مزيد من التصلب، كذلك يستدعى علاج القضية الآن مناقشة الطرح العراقى بالربط بين غزوه للكويت واحتلال إسرائيل للأراضى العربية نظراً للتماثل شبه الكامل للأسس القانونية التى تستند عليها القضيتان .

(٣) أن الجامعة العربية لم تعد تستطيع القيام بدورها بعد أن مرت طوال تاريخها بعوامل الضعف زادها نقل مقر الجامعة العربية إلى تونس وخضوعها لعوامل التشرذم العربى . ويأتى فشل الجامعة فى التعامل مع أزمة الخليج باعتبارها أزمة عربية خالصة لكى يبرز الحاجة الماسة إلى تحديد أليات الجامعة وتطورها حتى يمكن أن تكون فعالة فى أطار العمل العربى واداه لوحدتها و "بيتا" للعروبة والعرب .

(٤) أن مبدأ توزيع الثروة العربية الذى رفضه المجموع أبان أزمة الخليج تحول الآن إلى مبدأ آخر لا يقل عنه أهمية وخطورة . فقد لبس هذا المبدأ الآن ثوب التكامل الإقتصادي العربى والتنمية الإقتصادية الشاملة التى ييكن أن تكون أساساً للأمن القومى العربى .

ولا شك أن الفجوة الكبيرة بين الدول العربية التى لها فائض من السيولة المالية وتلك التى تعانى من عجز قد خلقت أزمة عربية ، ليست هى السبب بالطبع فى نشوء أزمة الخليج ، ولكنها تعتبر سبباً مباشراً فى ضعف الإجماع العربى على موقف موحد خلال هذه الأزمة .

ومن ثم فانه يتعين ضرورة التوصل إلى صيغة للتوزيع الأمثل لهذا الفائض ترتكز على

معايير إقتصادية مدروسة بشكل علمى وموضوعى بعيداً عن الارتجال والانفعال ، وهنا تثور أهمية أنشاء جهاز إقتصادي جديد بشكل علمى موضوعى على غرار مشروع مارشال الذى وضع عقب الحرب العالمية الثانية لإعادة بناء أوروبا بعد الحرب .

(٥) أن النظام الدولى الجديد الذى بزغ بانتهاء الحرب الباردة أخذ يتمدد اطرأ وصياغات بعيداً عن المشاركة العربية الفاعلة فيه . وليس من المنظور ـ والحال هذه ـ أن تتم هذه المشاركة فى غياب تضامن عربى يخلق كتلة دولية تترجم من تلقاء نفسها إلى قوة عالمية مؤثرة فى النظام الدولى .

(٦) أن الديمقراطية أخذت تترسخ كمطلب أساسى للنظم العربية لأنها السبيل الوحيد لتنمية ناجحة تأخذ بمشاركة شعبية حقيقية وحرية سياسية مؤثرة وفعالة .

والواضح أن الحرب لم تسفر عن أى حل للمشكلات الديمقراطية فى العالم العربى ، فالمواقف الرافضة للحكومات تحولت إلى مواقف موافقة بعد الحرب دون أى مسائلة شعبية ، كما لم تفض الحرب والهزيمة فى العراق التى تغيير سياسى يتناسب مع فداحة الأخطاء وجسامة الخسارة ، وفى الكويت نفسها لم تهز الكارثة التى حاقت بالمجتمع والدولة المعطيات السياسية والذهنية التى أوقفت تطور المجتمع وقادته بجحود منقطع النظير الى كارثة رغم وجود تقاليد راسخة نسبياً للانفتاح السياسى وحتى النموذج الذى كان مطروحاً أثناء الأزمة لملكية دستورية صالحة للكويت ولغيرها من دول الخليج يسمح بمشاركة جزء هام فى المجتمع ، لم يعد هذا النموذج مطروحاً بعد استتباب الأمور نسبياً وركون نظم الحكم فى المنطقة إلى التحالف العسكرى غير المباشرة مع قوة الحماية الأمريكية .

(٧) أن العالم العربى خسر الغطاء الإستراتيجي الذى كانت العراق تتمتع به بقرار من الأمم المتحدة (٦٨٧) والذى جرد العراق بالكامل من هذا الغطاء .

ولا شك أن هذا الأجراء من شأنه أن يثير حنق كل دول المنطقة (فيما عدا إسرائيل طبعاً) ويدفعها إلى محاولة الانتقام من تجريدها من سلاحها أمام اعدائها ، إلا إذا أخذت الأمم المتحدة (الولايات المتحدة كقطب أوحد للنظام الدولى الجديد وممثله الأمم المتحدة) بالمبادرة المصرية لنزع أسلحة التدمير الشامل من كل دول المنطقة بما فى ذلك إسرائيل) .

وهناك اتجاه شبه رسمى فى العالم العربى اليوم يرفض توجيه ضربة للمنشآت النووية العراقية لنفس الأسباب التى عرضناها انفا . غير أن الثابت حتى الآن أن خطة تجريد العراق

من رادعه الإستراتيجي تمضى قدما وسط تهديدات دولية ، ولم يقترب أحد حتى الآن من ترسانة إسرائيل النووية .

هذه هى أهم نتائج حرب الخليج التى ربما أثرت على الموقف العربى برمته فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى والموقف الدولى العربى بعد أن كانت المنطقة قد عرفت لأول مرة فى تاريخها و قبل أندلاع الأزمة مباشرة فترة فى الهدوء والتقدم السياسى والإقتصادي ..فقد هدأت التوترات بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وتوقف المعارك الشرسة التى دامت ثمانى سنوات ، وبدأت الأزمة اللبنانية أولى خطواتها على طريق الانفراج بعد إتفاقيات الطائف عام ١٩٨٩ بعد ١٥ عاما من المواجهات الدامية . وقد جاءت هذه العودة إلى الهدوء فى منطقة الشرق الأوسط وسط جو عالمى ملائم تماماً لهذا النوع من التطور .

أما على الصعيد الإقتصادي فقد تراجعت أسعار البترول التى ارتفعت بعد ١٩٧٣ و ١٩٧٩ وشهدت الفترة الأخيرة عودة النظام الإقتصادي العربى إلى الطريق الليبرالى السليم ، وبدأ خير البترول يعم حتى على الشركات التى لا تملك الكثير وأصبح لدى الدول المنتجة بنيات تحتية وكوادر محلية وبدأت تتصرف بوعى أكبر فى إدارة ثرواتها البترولية بعد أن تعلمت من دروس الماضى ، كما تمت محاولات هامة و واقعية للتقارب الإقليمي ، وأصبح مجلس التعاون الخليجى الذى أسسته السعودية عام ١٩٨١ جهازا للتعاون والتكامل الإقتصادي الإقليمي الفعال . كما بدأ اتحاد المغرب العربى فى وضع أهداف إقتصادية من أجل تطوير علاقات طيبة ومثمرة بين أعضائه وحتى مجلس التعاون العربى الذى وضع أساسه الملك حسين وضم الأردن ومصر والعراق واليمن كان شاهداً على جو التعاون الجديد الذى ساد المنطقة . كما بدأت دولتا اليمن فى الشمال والجنوب اللتان انفصلتا أكثر من قرن فى التقارب لأتمام الوحدة بينهما بشكل واقعى ومتوازن .

وكان هذا الجو من الوفاق والتعاون يترجم نفسه إلى تحرير الإقتصاد الذى كان حتى ذلك تابعا للدولة وتشجيع الإستثمارات الأجنبية و رؤوس الأموال والمبادرات الخاصة . كما بدأت النظم السياسية تسير فى طريق الليبرالية بدرجات متفاوتة . وكان ابرز مثل هو التطور السريع الذى حدث فى الأردن و أنتهى بالإنتخابات البرلمانية فى نوفمبر ١٩٨٩ . وحتى صدام حسين يستعد لتكوين أحزاب سياسية مجاراة منه لروح العصر . وفى الكويت أصر الرأى العام الليبرالى على عودة البرلمان الذى الغى عام ١٩٨٦ وأستسلم الأمير جابر ووافق على أجراء

الإنتخابات لتشكيل البرلمان وتم ذلك، ولكنه كان برلمانا عاجزاً لم يرض عنه الشعب الكويتى وطالب بتغييره .

وهكذا كان الشرق العربى يعمل بجدية على تطوير نفسه عشية غزو الكويت ثم حدث الانفجار الذى زلزل كيان هذه المنطقة.

وكانت أولى بوادر هذا الانفجار بعد غزو صدام للكويت هى التزام الأطراف التى كان يجب أن تتخذ مواقف فعالة بالصمت التام . فلم يسمع أحد صوت منظمة الأوابك (البترول العربية) أو الأوبك حيث تمثل الدول العربية الأغلبية ، أما الجامعة العربية فقد أصيبت بالشلل التام وعجزت عن مواجهة الموقف بعد أن فشلت فى توحيد كلمة اعضائها على إدانة الغزو . وهكذا فشلت هيئة يمكن أن تأخذ بزمام المبادرة لحل الأزمة . كما أن منظمة المؤتمر الإسلامى التى لعبت دوراً هاما فى النزاع بين العراق وإيران وادانت مرارا القلاقل التى تثيرها طهران فى مواسم الحج لاذت بالصمت هى الأخرى خلال الأزمة ولم ترق إلى مستوى مسئولية جمع الكلمة فى العالم الإسلامى .

أن اختفاء هذه الهيئات الثلاث التى كان يمكن أن تقوم بدور فعال فى تسوية الأزمة وحل الخلافات قد ترك المجال مفتوحاً أمام الحلفاء الذى اضطروا للتدخل المباشر لحل النزاع والحفاظ على مصالحهم فى المنطقة ، هذا بالإضافة إلى أن المنظمات الأخرى التى كانت تشجع التجمعات الإقليمية قد وجدت نفسها فى موقف لا تحسد عليه . فقد انهار تماماً مجلس التعاون العربى منذ بداية الأزمة . كما أن مجلس التعاون الخليجى قد برهن على عجزه عن القيام بالدفاع عن اعضائه . فالكويت عضو فى هذا المجلس ، ولم يستطع حمايتها من العدوان رغم نفقات التسليح الباهظة ، وحتى السعودية لم تستطع القيام بدور حامية الخليج فى مواجهة الإطماع العراقية . وقد أدى تفتت العالم العربى إلى التدخل الخارجى وفرض الوصاية الخارجية لكى لا تصبح المنطقة حقلا للإضطرابات التى يمكن أن تهز استقرار العالم وتهدد المصالح الحيوية للقوى الغربية .

هذا هو الموقف العربى بعد حرب الخليج واظن أن هذا الموقف ونتائج الأزمة لا يسمح للدول العربية بأن يكونوا فى موقف تفاوضي جيد ، أو على الأقل ليسوا فى اللحظة المناسبة للتفاوض

انظر: (Marc Lavergne , Les Cies De I'apres Crise, Politique International No. 51, Printemps , 1991)

رغم افراز الأزمة لضرورة حل القضيةالفلسطينية .

التحرك الأمريكى

أن ضم إسرائيل للأراضى المحتلة وتحويل الأردن إلى مخزن للأيدى العاملة لخدمة الاقتصاد الإسرائيلى هى أفكار لا يمكن تحقيقها لأنها سوف تنتج عودة التوتر للمنطقة وقد تؤدى حالة اليأس من إيجاد تسوية عادلة إلى انفجار رهيب لن يستطيع الغرب السيطرة عليه ، وفى هذه الحالة ستضطر واشنطن إلى التصدى تدريجيا للأهداف الإسرائيلية فى المنطقة حفاظاً على مصالحها . أن الاستقرار والسلام فى المنطقة لابد أن يمر أولاً بتسوية المشكلة الفلسطينية وهذه الحقيقة تدركها جميع الأطراف .

هذا هو السبب الرئيسى للتحرك الأمريكى الذى يهمه أولا الحفاظ على المصالح الإستراتيجية للغرب فى المنطقة ، بالإضافة إلى الهيمنة الأمريكية على النظام العالمى الجديد والذى أدار أزمة الخليج وفقاً لمقاييس صارمة لابد أنها تنطبق على حالة احتلال أراضي الغير بالقوة المسلحة فى جميع الحالات ، لا فرق بين العراق وإسرائيل فى هذا المجال .

وكانت العراق قد طرحت خلال الأزمة قضية الربط بين انسحابها من الكويت بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة ، على أساس خضوع الطرفين لقرارات الأمم المتحدة وتنفيذها ، وهى القرارات التى ترفض احتلال الغير بالقوة وتدعوها إلى الانسحاب ، ولكن فى حالة العراق صرحت الأمم المتحدة بإستخدام القوة لتنفيذ قراراتها ، بينما فى حالة إسرائيل صرحت بالتفاوض من أجل أتمام الانسحاب والمصالحة النهائية .

ورغم الإختلاف الواضح بين حالتى العراق وإسرائيل ، إلا أن العراق استطاعت ـ دعائيا ـ استغلال الربط بين القضيتين لكى تبين أن أمريكا تكيل بمطايلين أو أن لديها معيار مزدوج تتعامل بشق منه مع اعدائها وتتعامل بالشق الأخر مع اصدقائها ، وكانت العراق تهدف من وراء ذلك حشد اصدقائها الذى خالفوها فى غزوها للكويت للوقوف معها ضد أمريكا وهى العدو المشترك .

ولكى تسقط أمريكا هذا الطرح العراقى فقد دعت ـ بعد الاتفاق مع موسكو ـ جميع الأطراف المعنية للتفاوض لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، ١٨١ ـ ٢٤٢ ـ ٣٣٨ الخاصة بالنزاع العربى الإسرائيلى على اعتبار أن التفاوض هو ما تدعو إليه قرارات مجلس الأمن ، وهى بذلك

تعمل على تنفيذ الإرادة الدولية بمعيار واحد ، وليس بمعيارين كما تزعم العراق .

وليام كوانت هو خبير فى العلاقات الدولية بمعهد بروكنجز وكان مستشاراً للأمن القومى للرئيس الأمريكى الأسبق چيمى كارتر ، و أحد الذين حضروا محادثات كامب ديڤيد التى انتهت بإتفاق السلام المصرى الإسرائيلى ، وله كتاب عن هذه التجربة . أصدرت له ترجمتان بالعربية إحداهما من الأهرام والآخر من دار المعارف .

عن الموقف الأمريكى فى مؤتمر السلام الإقليمي الذى دعت إليه واشنطن فى أكتوبر ١٩٩١ يقول وليام كوانت : أن تركيبة الصراع حاليا تختلف عما كان عليه الأمر وقت كامب ديڤيد ، وما نتوقعه سيكون أكثر من كامب ديڤيد فيما يتعلق بعدد الدول المشاركة وأقل من كامب ديڤيد إذا كان المقياس هو استعادة الأرض التى احتلت عام ١٩٦٧ مقابل السلام مع إسرائيل .

والأطراف العربية ـ فى رأى كوانت ـ ليست على استعداد للدخول فى إتفاقيات ثنائية مع إسرائيل لأسباب عديدة . سوريا لن تكسب كثيراً من ذلك طالماً أن عدم الاستقرار فى لبنان والأردن و سينعكس سلبياً عليها لأسباب جغرافية على الأقل ، الأردن لن يجنى أية مكاسب من توقيع سلام منفرد ما لم تقدم له إسرائيل الضفة وغزة والقدس كمقابل ، وهذا غير متوقع ، والفلسطينيون موقفهم مماثل لموقف الأردن .

أما قضية استعادة الأرض المحتلة فالأمر أكثر صعوبة عما كان عليه وقت كامب ديڤيد ، وكان السادات يعلم أنه سيستعيد معظم سيناء على الأقل قبل بدء المفاوضات ، وكان الخلاف حول الترتيبات الأمنية .

أما المرحلة الحالية فمحور الخلاف فيها هو الأرض، وإسرائيل تدعى أنها لن تنسحب منها شبرا واحدا بخلاف لبنان الذى لم تعلن أية مطامع فيه حتى الآن ، ولكن على كل حال فإن المواقف الإسرائيلية المتشددة قد تتغير فى المستقبل ويجب إلا ننسى أن حافظ الأسد وإسحاق شامير مفاوضان تقليديان لا يقدمان تنازلات بدون مقابل .

وولوليام كوانت له أيضاً رأى فى تجاهل أمريكا لمنظمة التحرير الفلسطينية فهو ينفى هذا التجاهل ويؤكد أن أمريكا تعلم أن المنظمة وراء كل ما يحدث على الساحة الفلسطينية بما فى ذلك اللقاءات التى تتم بين بيكر والقيادات فى الضفة وغزة ، ويرى أن ياسر عرفات بالرغم من تقلص شعبيته واخطائه إلا أنه الوحيد صاحب القدرة على إضفاء الشرعية أو عدم الشرعية على المشاركين فى عملية السلام . كذلك يرى كوانت أنه لم يعد للفلسطينيين من صديق فى

المنطقة سوى مصر ، والتى تربط صداقتها بمدى قبولهم للسير فى طريق السلام .

والقضية الفلسطينية فى نظرة هى قضية المنطقة المحورية ويجب أن تحل حلا جذريا لأن بقاءها يهدد الاستقرار والسلام بين باقى الدول العربية وإسرائيل بما فى ذلك مصر . ويستبعد اهتمام الإدارة الأمريكية ببذل جهد كبير فى المؤتمر قبل عام ـ العام القادم ـ حيث تفرغ من انشغالها بأحداث الاتحاد السوفيتى وكذلك انتخابات الرئاسة فى أمريكا .

ومعنى هذا أن العرب سيؤكدون ما سبق أن قدموه بالاعتراف بإسرائيل ـ عن طريق قبول قرارات مجلس الأمن ـ وسيحقق الفلسطينيون مكاسب بحضورهم ـ حتى ضمن وفد أردنى مشترك ـ لأن ذلك سيعد اعترافا إسرائيلياً بهم كأحد أطراف القضية ، ويستفيد الرئيس بوش وإدارته من المؤتمر فى معركة انتخابات الرئاسة .

وعن تفسير الادارة الأمريكيه للقرار ٢٤٢ يقول كوانت أنه يعنى الأرض مقابل السلام على كافة الجبهات ، ولا فرق بين سيناء والجولان أو الضفة ، وكان من رأى أداره كارتر أن تنفيذ القرار يجب أن يتضمن تعديلات طفيفة فى حدود الضفه الغربية، وخاصة وأنها ليست حدودا دوليه معترف بها ، ولكن إسرائيل أصرت على رفض إضافة مثل هذا التعديل . كذلك كانت الإدارة الأمريكيه ترى أن المستوطنات غير شرعيه وأنها عقبه فى طريق السلام .

ويقول كوانت أيضاً إننا لو أستطعنا التوصل إلى نتائج نهائيه فى هذا المؤتمر خلال عشر سنوات فسيكون ذلك إنجازا ، مقارنه بالمحادثات المصرية الإسرائيلية (٧٣ ـ ١٩٨٢) التى استغرقت تسع سنوات (أنظر الأهرام عدد ٢/ ٩/ ١٩٩١) .

هذا هو السيناريو الذى أفترضه كوانت للمؤتمر الإقليمي ، ورغم أنه لا يعبر عن وجهة النظر الأمريكيه الرسمية ، إلا أنه على أى حال قريب من هذه الرؤية إلى حد بعيد ، فلم يعد كوانت يمثل وجهة نظر الديمقراطيين التى تخالف وجهة نظر الجمهوريين التى تحكم الآن فى أمريكا ، وانما يتحدث كخبير فى شئون الشرق الأوسط ، وفى كيفية صنع القرار الأمريكى .

وهذا السيناريو ـ القريب إلى التصديق ـ أفترض تقديم العرب لعديد من التنازلات فى انتظار ما سوف ترد به إسرائيل من تنازلات فى المستقبل .

ولكنه فى نفس الوقت أستبعد المشاركة الفعالة لدول الخليج فى المؤتمر ، فرغم كونهم سوف يشاركون كمراقب ، إلا أن ذكر هذه الدول لم يأت قط فى حديث مستشار الأمن القومى الأمريكى السابق .

الترتيبات الأمنية :

ولكن مجرد إعلان دول الخليج استعدادها للمشاركة فى مؤتمر السلام الإقليمي ولو بصفة مراقب له مغزى خاص ، لأن هذا الإعلان يأتى بعد أزمة الخليج مباشرة ، وفى وقت بدأ فيه أن إعلان دمشق قد أنهار وأستبدل بترتيبات أمنية منفردة بين دول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية.

وبالفعل توصلت الكويت إلى أتفاق أمنى مع الولايات المتحدة قبل أن يتفق أطراف إعلان دمشق على ترتيبات أمنية عربية جماعية ، وهناك تمهيد لأن تعلن اتفاقات أمنية مماثلة من جانب باقى الدول الخليجية على نفس المنوال .

فقد قررت وزارة الدفاع الأمريكية (٢٧ أغسطس ١٩٩١) أبقاء قوات أمريكية فى الكويت لمدة تتجاوز الموعد الذى كان مقررا فى الأصل (سبتمبر ١٩٩١) كخطوة معقولة تتخذ من أجل الدفاع عن الكويت حسب تعبير بيت وليامز الناطق باسم وزارة الدفاع الأمريكية (البانتجون) الذى أوضح أن دمار حرب الخليج قد أعاق قدرة الكويت على الدفاع عن نفسها . وأشار وليامز إلى المباحثات التى جرت بشأن الإتفاق الأمنى بين الولايات المتحدة والكويت ، وهو يتناول استخدام المنشآت الكويتية والدعم اللوجيستى (بالسلاح والذخيرة) والتخزين المسبق لمعدات عسكرية والمناورات المشتركة والتدريب وبنود أخرى لم يعلن عنها بعد . وقال نفس المتحدث أن إتفاقيات أخرى مماثلة ستوقع مع دول أخرى " فى شتى أرجاء الخليج " ونفى أن يكون لدى أمريكا نية فى وجود عسكرى دائم فى الكويت ، وهو الذى لم يطلبه أى من الطرفين حتى الآن .

والموقف الآن فيما يتعلق بالعسكريين الأمريكيين الموجودين بالكويت وباقى دول الخليج هو وجود ٤١ ألف عسكرى أمريكى يرابطون فى منطقة الخليج بما فى ذلك الكويت ، وتعمل ٢٥ سفينة أمريكية فى خليج عمان والخليج العربى من بينها حاملة الطائرات يو - اس - اس (U . S . S) ابرهام لنكولن وسفينة القيادة يو - اس - اس لاسال .

أما إعلان دمشق الذى يشهد القاهرة مؤتمرا لدوله التسع فى إطار اجتماعات المجلس الوزارى العربى ، رغم أن وزير الخارجية الكويتى الشيخ سالم صباح نفى ذلك بشكل غير مباشر حينما اعلن أن هذا المؤتمر سوف يعقد فى أكتوبر أو سبتمبر (حسب الظروف) ودافع عن الاتفاق الأمريكى الكويتى للتعاون الأمنى ووصفه بأنه مكمل للإعلان ولا يتعارض معه .. بينما أختلف الوزير المصرى عمرو موسى فى هذا التصور ووصف الإتفاق بأنه " مسألة تتعلق

بالمصلحة الكويتية " بينما أكد أن إعلان دمشق هو من منطلق عربي ولتحقيق الأمن العربى المشترك ، كما أنه مستقل عن أى ترتيبات أخرى .

ومع افتراض أن مثل هذه الاتفاقات الأمنية ـ التى يختلف تقديرها من عاصمه عربيه إلى أخرى حتى بين العواصم الصديقة ـ قد تحققت ، ومع وجود اتفاق أمنى "إستراتيجي" بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، فان مشاركة دول الخليج فى مؤتمر السلام الإقليمي بالشرق الأوسط تتعدى مجرد المشاركة " كمراقب " لتصل إلى حد "الشركة" فى الترتيبات الأمنية التى سيضعها مثل هذا المؤتمر لمنطقة الشرق الأوسط .

فأمريكا ـ كما رأينا ـ هى الطرف الأساسى والمشترك فى جميع محاولات صياغات الأمن العربى بحكم أنها المستفيد الأساسى وللمصداقية التى اكتسبتها أثناء أزمة الخليج وثقة المجتمع الدولى بها وأصرارها على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة إلى حد استخدام القوة المسلحة.

ولكن من المستبعد أن تكون هناك ترتيبات أمنية جماعية فى إطار مؤتمر السلام الإقليمي ، تدخل إسرائيل طرفا فيها بالتعاون مع الدول العربية خاصة الخليجية ، رغم تردد أشاعات أو ترويجها بقرب حدوث مصالحة سعودية إسرائلية ، أو بإعتراف الكويت الرسمى بدولة إسرائيل ورفع علمها فى مدينة الكويت ، أو انهيار المقاطعة العربية فعليا ، وخاصة من جانب الدول الخليجية التى استقدمت شركات كانت ممنوعة قبل أزمة الخليج .

على كل حال فأن أمريكا تعتبر أن النظام العربى الذى كان سائدا قبل ٢ أغسطس ١٩٩٠ نظاما لا يصح، ومن الضرورى ألا تصبح مصالحها فى المنطقة معرضة للخطر مرة أخرى.

وكذلك تعتبر أمريكا التوصل إلى حل لأزمة الشرق الأوسط أمرا بالغ الصعوبة ، وأن كانت ترى أن إحتمالات الاستقرار فيه إحتمالات قوية وجيدة .

وتهتم أمريكا بالقدرة على العودة بقوات عسكرية كبيرة " بعد أشعار قصير " إذا اقتضت الحاجة ذلك من أجل ضمان أمن المنطقة إذ أنها لا ترغب فى وجود عسكرى ضخم بالقوات البرية لأمد طويل مثل حاميات عسكرية أو قواعد عسكرية متكاملة للقوات البرية فى الخليج والسعودية .

وتعتبر أمريكا أن الوجود البحرى الدائم وبقوة كبيرة أمرا بالغ الأهمية للولايات المتحدة الأمريكية .

والترتيبات الأمنية التى ترغب فيها أمريكا بناء على ما تقدم ستكون ثنائية ـ علنية وسرية ـ انطلاقا من أن هناك أطرافا عربية فى وضع أكثر استعدادا للمشاركة بنشاط أكثر من أطراف أخرى ، فى حين أن هناك أطراف أخرى مستعدة للقيام بمهام معينة إذا ما ظلت الأمور فى طى الكتمان ، وتحقق من هذه الترتيبات أهدافا متنوعه أهمها حماية أمن الخليج والقدرة على الرد فى الأزمات .

ورغم أن حل النزاع العربى الإسرائيلى يعد من وجهة النظر الأمريكية جوهريا لأمن المنطقة إلا أن القناعة الأمريكية تتعدى ذلك إلى حد القول بأن هناك نزاعات عربية ـ عربية على غرار غزو الكويت ، أو عربية ـ إيرانية يمكن أن تهدد مصالحها .

ومن أجل تنفيذ كل هذه الإعتبارات تسعى أمريكا إلى :

١ ـ أقامة ترتيبات أمنية ثنائية يدفع الأصدقاء والحلفاء تكاليفها ، وهو ما يفسر وجود الدول الخليجية فى مؤتمر السلام كممول لأى ترتيبات أمنية يتم التوصل إليها ، خاصة مع وجود الأمم المتحدة فى المؤتمر ـ كمراقب صامت ـ واحتمال أسناد دور لها فى هذه الترتيبات تتضمن نشر قوات دولية ، على أن تدفع تكاليفها دول الخليج .

٢ ـ منع انتشار أسلحة الدمار الشامل والوقوف أمام الدول الطامحة إلى استيراد التكنولوچيا المتقدمة اللازمة لتطوير مثل هذه الأسلحة ـ ولكن هل يتضمن هذا إسرائيل أيضاً ؟.

٣ ـ جعل الدور العسكرى الأمريكى فى ترتيبات الأمن مقصوراً على أقامة مخازن طوارىء للعتاد والذخائر (فى السعودية ـ الأمارات ـ الكويت ـ عمان ـ البحرين ـ إسرائيل) وأقامة مركز قيادة متقدم للولايات المتحدة (البحرين) وإجراء مناورات عسكرية مشتركة بين دول المنطقة ومشاركة دول أوربية أخرى وزيادة مبيعات الأسلحة لدول الخليج وزيادة الوجود البحرى فى مياه الخليج .

٤ ـ تركيز الاهتمام الأمريكى بالأمن العربى على مناطق الخليج (منابع البترول) وإسرائيل (حليف إستراتيچيى جنوب حلف الأطلنطى) ضد أي تهديدات إيرانية ستقوى بضعف العراق أو أى دور عسكرى سوفيتي مستقبلاً، وفى هذا الإطار سوف تسعى الولايات المتحدة على المحافظة على التفوق الإسرائيلى فى المجالات العسكرية مع عدم الضغط عليها لتنفيذ قرارات مجلس الأمن أو الكشف عن ترسانتها النووية وقبول تدميرها ، ويمكن فقط أن تعمل على فرض سقف نووى على برامجها ، وكذلك ستسعى إلى تقبل الدول العربية المحيطة

بإسرائيل للوضع كما عليه وتشجيع هذه الدول على التحدث مع إسرائيل مباشرة لحل المشاكل المعلقة بشكل ثنائي .

يمكن كذلك تصور المؤتمر الإقليمي للسلام لترتيبات مائية تشترك فيها دول الخليج مع تركيا، خاصة وأن أمريكا تشترط حضور إسرائيل مؤتمر المياه الدولى (تركيا) حتى تحضره هى ، ومعنى هذا وجود خطة مائية تشارك فيها تركيا وإسرائيل ودول الخليج ويهتم مؤتمر السلام الإقليمي بصياغتها وأقرارها .

الموقف الخليجى فى مؤتمر السلام :

لابد أن الموقف الخليجى من القضية الفلسطينية قد أختلف قبل أزمة الخليج عنه بعدها .

فقبل الأزمة أشاد مجلس التعاون الخليجى بإعلان المجلس الوطنى الفلسطينى دولته المستقلة فى المنفى عام ١٩٨٨ وناشد المجتمع الدولى حشد قدرته لعقد مؤتمر دولى لأحلال السلام العادل للشعب الفلسطينى ، كما أكد المجلس دعمه وتأييده للأنتفاضة . وكانت دول المجلس قد دعمت القضية الفلسطينية بأموال ضخمة .

ولكن أثناء الأزمة كان للمارسات الفلسطينية دور شديد السلبية تجاه دول الخليج ، فقد شارك الفلسطينيون فى دعم الغزو العراقى سياسياً ، وفعلياً ، واتهم كثير من الفلسطنيين بمساعدة قوات الاحتلال العراقية في الكويت على مطاردة وتعقب أفراد المقاومة الكويتية .

ورغم ذلك كان رد الفعل الخليجى ، من خلال كلمة الملك فهد فى قمة الدوحة الخليجية (٢٢ ــ ٢٥ سبتمبر ١٩٩٠) هو دعم قضايا المنطقة والاحتفاظ بضرورة الدفاع عن القضية الرئيسية فى المنطقة .

وبينما أكد مجلس الوزراء السعودى هذا الموقف مرة أخرى فى اجتماع له يوم (٢ سبتمبر ١٩٩١) ، غير أن هناك إجرادات أتخذتها دول الخليج أثرت تأثيراً كبيراً على الوضع الفلسطينى وساهمت فى زيادة متاعبه ، لعل ابرزها طرد المقيمين الفلسطنيين وأنهاء عقودهم .

فقد أوقفت معظم هذه الدول دعمها المادى لمنظمة التحرير وللانتفاضة عندما رأت عرفات يتبرع لصدام بجزء من هذه المعونات المالية لكى يساعده على مزيد من المقاومة والتصلب أمام دول الخليج .

كذلك قبلت كل دول الخليج على الفور المشاركة كمراقب فى مؤتمر السلام الإقليمي ، وكعضو نشيط فى أعمال اللجان مما يعنى تنازلا عربياً لصالح إسرائيل دون أى مقابل ، وهو يؤثر على الوضع الفلسطينى داخل المؤتمر .

ويذكر لموقف دول الخليج المرن فى المفاوضات التى سبقت أقرار انعقاد المؤتمر أنها ساهمت فى الضغط على سوريا من أجل التخلى عن مطالبها بإيجاد دور قوى وفعال للأمم المتحدة ، وأغرى إسرائيل بالموافقة على المؤتمر الذى سيعنى تطبيع علاقات هذه الدول معها والاتفاق على قضايا المياه والتعاون الإقتصادي فى منهج يسمى بالتفاوض حول القضية الفلسطينية والانسحاب الإسرئيلى من الأراضى العربية ، أما الاتجاه الثانى فهو ثنائى مع كل دوله عربيه على حدة للإتفاق على التطبيع والتعاون ، دون أن يؤثر أى من الإتجاهين على الأخر ، ودون أن يعنى فشل أحد الإتجاهين توقف الاتجاه الأخر .

ويمكن القول بإيجاز أن دول الخليج ستكون مستعدة خلال مؤتمر السلام الإقليمي لأن تتعاون مع إسرائيل إقتصاديا وتطبيع علاقاتها معها دون أن يكون هناك مقابل يفيد القضية الفلسطينية إفادة مباشرة . وسوف تستفيد دول الخليج من ذلك دعم خططها الأمنية مع الولايات المتحدة ، والإتفاق على موارد مياه مشتركة مع إسرائيل ، وتحجيم التدخل الفلسطينى فيما تعتبره أمرا لا يخص الفلسطينيين ، وتقليص الوجود الفلسطينى فى دول الخليج .

المواقف العربية الأخرى :

يصعب الفصل بين المواقف العربية الأخرى تجاه مؤتمر السلام ، وخاصه المواقف السورية من ناحية ، والأردنية والفلسطينية والعراقية من ناحية أخرى ، على أنه ليس هناك خلاف بين هاتين الناحيتين فى الرأي ، وأن كان هناك تأثير عراقى على موقف الأردن وفلسطين ، إلا أنه قد خبا ووهن تحت وطاة الاستسلام العراقى الكامل أثر هزيمته فى حرب تحرير الكويت .

ورغم أنه لم تحدث بعد مصالحة مصرية ـ أردنية ، بل أن الأمور زادت سوء بعد نشر الملك حسين " الكتاب الأبيض " حول أحداث أزمة الخليج وتكذيب الخارجية المصرية الرسمى لما جاء فى هذا الكتاب ، ورغم أنه لم تحدث مصالحة مصرية فلسطينية رغم الأتصلات القوية التى تكللت بلقاء مبارك وعرفات فى لبيا ، إلا أن هناك أتفاق فى الموقف حول المؤتمر الإقليمي

للسلام بين جميع هذه الدول .

والموقف العربى فى هذا الإطار يتفق على :

١ ـ التخلى عن الأشراف الدولى أو " السلطة الدولية " على المؤتمر .

٢ ـ الدخول فى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل على أساس قرارات مجلس الأمن وبمقتضى مبدأ الأرض مقابل السلام .

٣ ـ القبول بتأجيل موضوع القضية الفلسطينية والقبول بإتحاد كونفدرالى فلسطينى أردنى .

٤ ـ القبول ـ الضمنى باستبعاد المشاركة المباشرة لمنظمة التحرير بإعتبارها الممثل الشرعى والوحيد ـ فى رأى العديد من الدول العربية ـ لأن المنظمة ربما تكون الممثل الشرعى ، ولكنها ليست بالتأكيد الممثِل الوحيد للشعب الفلسطينى ، فهناك فلسطينيون فى الداخل كبديل عن المنظمة .

٥ ـ قبول صيغة تفاوضية مزدوجة الاتجاه وفترة التطبيع الكامل مع إسرائيل فى كافة المجالات وذلك مقابل تحقيق تقدم ملموس على صعيد القضية الفلسطينية .

الموقف السوفيتى :

يواجه الاتحاد السوفيتى أزمات خطيرة ، تصل إلى حد انهيار كيان الاتحاد نفسه وتكوين جمهوريات مستقلة ، أو قيام اتحاد جديد يضم عددا أقل من الجمهوريات وعلى أى الأحوال لن يكون بمقدور الاتحاد السوفيتى العودة بنفس القوة إلى المسرح الدولى .

والموقف السوفيتى الرسمى ـ حتى الآن ـ هو ما أعلنه وزير الخارجية ـ الجديد ـ بوريس بانكين بأن الاتحاد السوفيتى سيرأس مؤتمر السلام حول الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة وأكد أن الموقف السوفيتى من عملية السلام لن يتغير ، وأن موسكو لا تزال تعتبر الشرق الأوسط منطقة هامة بالنسبة للسياسة السوفيتية .

على أن ذلك لا ينفى مجموعة من الحقائق هى :

١ ـ عجز الاتحاد السوفيتى عن الوقوف فى مواجهة الولايات المتحدة فى ظل الصرعات والانقسامات التى يشهدها .

٢ ـ حجب الدور السوفيتى عن الأمن العربى بسبب فشل التجربة الشيوعية .

٣ ـ لن يختلف دور الاتحاد السوفيتى داخل المؤتمر عن الدور الهامشى لأوروبا أو الصامت للأمم المتحدة .

التغير الوحيد فى موقف الإتحاد السوفيتى هو أنه أصبح أكثر قناعة بأنه لا يمكن فرض السلام على إسرائيل ، وإنما الحوار الذى يمكن للعلاقات السوفيتية الأمريكية الجديدة تسهيله .

ولم يعد فى جعبة الاتحاد السوفيتى إلا القليل من أوراق اللعبة فى هذه المرحلة ، سوى علاقاته مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وهى ميزه فقدت مفعولها بعد استبعاد المنظمة من المؤتمر ، خصوصاً بعد أن أعاد الاتحاد السوفيتى علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل ، ومن الممكن أن يستخدم هذه الورقة كحافز لتخفيف حدة التشدد الإسرائيلى فى مرحلة ما من التسوية .

وليس هناك من شك أن مشاركة الاتحاد السوفيتى سوف تكون فى صالح العرب نظرا لتاريخ العلاقات العربية السوفيتية ، كما أنه قد يسعى للتخفيف من حدة بعض المواقف العربية بفضل هذه العلاقات ، وربما يحصل على بعض عقود التسليح فى أي ترتيبات أمنية قد يتم الوصول إليها ، مما يعزز من مدخولاته المالية ويعينه على تطوير صناعة السلاح التى تفتقر حاليا إلى التكنولوچيا العالية .

وربما يواجه الاتحاد السوفيتى موقفا صعبا إذا شارك فى المؤتمر بقوة ، فسوف يطالب من إسرائيل بتسهيل الهجرة اليهودية إلى إسرائيل رأسا ويطالب من جهة العرب بوقف هذه الهجرة أو عرقلتها بما لها من أثار سلبية خاصة على زيادة حجم المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة .

الموقف الأمريكى :

اتفقت أمريكا مع الاتحاد السوفيتى على رعاية مؤتمر السلام للتفاوض على التسوية السلمية للقضية الفلسطينية على أساس قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ الخاصيين بالتسوية الشاملة .

ومن وجهة النظر الأمريكية فإنه لن يكون له صلاحيات قانونية محددة ، ولن تكون له سلطة فرض حلول معينة ، ولن يتدخل فى سير عملية التفاوض ، وانما سيقتصر على الجوانب

البروتوكولية فقط ، أي مجرد مظلة دولية للمفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل ، فبعد الجلسة الافتتاحية التى ستقتصر على أبقاء الكلمات ستبدأ المفاوضات المباشرة فى أتجاهين Dual Track .

ويوافق الأمريكيون على مبدأ الأرض مقابل السلام ، وأن يكون أساس التسوية قرارات مجلس الأمن ، وليس لأمريكا تفسير خاص للقرار ٢٤٢ ، ولكنها لا ترفض التفسير الإسرائيلى له ، كذلك لا يعنى ـ من وجهة نظرها ـ قيام دولة فلسطينية مستقلة ، وانما توافق على إقامة حكومة ذاتية تشرف على الشئون الفلسطينية لمدة ثلاث سنوات يجرى بعدها استفتاء على قيام اتحاد كونفدرالى مع الأردن يتزامن مع انسحاب إسرائيل» من أراضى عربية (الأرضى الكثيفة بالسكان العرب) .

وسوف تهتم الولايات المتحدة بشكل خاص بالترتيبات الأمنية فى المنطقة ، ومفاوضات التعاون العلمى والإقتصادي بما يضمن مصالحها فى المنطقة ، وخاصة فى الشق المتعلق بالمحادثات بين إسرائيل ودول الخليج ، وربما سعت إلى الحصول على إتفاقيات تعاون فى مجالات إستراتجية هامة .

الموقف الإسرائيلى :

ليس هناك أكثر غموضاً من الموقف الإسرائيلى فى مؤتمر السلام .فإسرائيل حتى اليوم لم تقدم أى شىء للمؤتمر ، ولم تصرح بأنها على استعداد للتنازل عن أى شىء ، ولم تخرج منها أى بادرة حسن نية ، فهى ماضية فى قمعها للانتفاضة بأعنف الوسائل ، وهى مستمرة فى بناء المستوطنات ومصادرة الأراضى العربية رغم التنازلات الهائله التى قدمها الطرف العربى خاصة فيما يتعلق بتأجيل بحث موضوع الدولة الفلسطينية ومشكلة القدس وقبول المفاوضات المباشرة دون أشراف الأمم المتحدة أو أي رقابه دولية تضمن الحقوق العربية ، واستبعاد منظمة التحرير ، وقبول دول الخليج المشاركة مع أنها ليست لها حدود مشتركة مع إسرائيل .

وليس هناك ما يدفع إسرائيل للقبول بأى تسويه تجعله يقدم على أرجا ع جزء من الأراضى العربية بالرغم من تأكدها من أن اللحظة التاريخية مواتية لاستقطاب أكبر قدر من الغنائم فى مفاوضات سلام مع العرب خاصة بعد حرب الخليج وخروج العراق من معادلة التوازن العربية

الإسرائلية واسئناس سوريا وضعف الانتفاضة بانقطاع الدعم الخليجى عنها وتحول أجهزة الإعلام العربية من متابعة أخبارها ، مع سيطرة اليمين المتطرف على القرار الإسرائيلى .

والتكتيك الإسرائيلى المعتمد فى مثل هذه الحالات هو كسب الوقت لحين فرض الأمر الواقع، فبعد جلسات المؤتمر الافتتاحية الشكلية ، ومع انخفاض الضغط الأمريكى ، ستبدأ مرحلة التسويف والمراوغة والمماطلة حتى تبدأ رحلة الانتخابات الأمريكية وتكتمل خطة بناء المستوطنات وتهديد الأراضى العربية وتكثيف حركة الهجرة من الاتحاد السوفيتى .

ولإسرائيل شروط متعسفة فى الأطراف التى يمكن أن تشارك فى المؤتمر ، بينما ترحب باشتراك مصر ودول الخليج ، لا ترحب بالمشاركة السورية التى ستنحصر مشاركتها فى المطالبة بالجولان ، ولا ترحب بالاتحاد السوفيتى إلا إذا أعاد علاقاته الدبلوماسية معها قبل بدء المؤتمر وضمن تدفق المهاجرين السوفيت إليها ، ولا ترحب بالمشاركة الأوروبية إلا كمراقب وبشرط الحصول منها على مساعدات مالية وفنية وفتح السوق الأوروبية أمام الصادرات الإسرائلية ، ولا ترحب ، بل وترفض مشاركة الأمم المتحدة ، إلا إذا أصدرت قرارا بإعتبارها حركة تحرر وطنى وإلغاء قرارها بوصم الصهيونية بالعنصرية .

والتسوية التى تسعى إليها إسرائيل فى إطار هذا التكتيك تقتصر على منح الإدارة الذاتية للمناطق التى بها كثافة سكانية فلسطينية عالية ، وعدم تفريطها فى الجولان إلا مقابل ترتيبات أمنية صارمة ، وتطبيع العلاقات مع دول الخليج بما يضمن استثماراتها ويجعلها قائدة للمنطقة . ولذا فهى ترفض مبدأ مقايضة الأرض بالسلام وتتمسك بتفسيرها الخاص للقرار ٢٤٢ والذى ينص من وجهة نظرها على الانسحاب من أراضى عربية محتلة ، وترى أنها نفذت هذا النص بانسحابها من سيناء ، واعتبرت باقى الأراضى العربية المحتلة من أراضى إسرائيل الكبرى .

موقف أوروبا والأمم المتحدة :

يتشابه الموقفان الأوروبى وموقف الأمم المتحدة ، من أنهما عضوان مراقبان فى مؤتمر السلام الإقليمي ، ومن ثم فأن تأثيرها على سير المفاوضات لن تكون له أى فاعلية ، خاصة فى الضغط على إسرائيل التى تتشدد فى موقفها على طول الخط ولا تقابل التنازلات العربية بأى مرونة من جانبها .

من ناحية الترتيبات الأمنية فأن أمريكا تستطيع التحدث بأسم أوروبا ، وكذلك باسم الأمم باعتبارها ممثلا للنظام العالمى الجديد ، بل أنه بوسعها ـ أى الولايات المتحدة ـ أن تحدد أى

أطر أو أدوار ستكون على أوروبا أو الأمم المتحدة تنفيذها فى أي تسوية مقترحة .

وسوف تضطلع الأمم المتحدة بدور المراقب وهو دور دبلوماسى هام باعتباره شاهد على سير المفاوضات وحكما دوليا غير مباشر على الطرف المسئول عن فشلها ـ إذا فشلت ـ كما أنها بناء على هذا الدور يمكن أن تتخذ قرارات لاحقة مبنية على سابق الخبرة ، وربما ضمنت بعض الاتفاقات التى يتم التوصل إليها إذا طلب منها ذلك .

أما أوربا فتملك أن تلوح بأغراءات المعونة الفنية والإقتصادية والعسكرية لتقريب وجهات النظر أو للضغط لإبداء المرونة ، وإذا أتيح لدورها السلبى بعض النشاط ، فسوف تكون على علم مما يدور فى لجان المؤتمر ، ويمكنها أتخاذ قراراتها ـ بالمنح أو العقوبة ـ خارج المؤتمر وفى بيئة نشاطها المعتادة .

الموقف السورى :

سوريا هى أحد أطراف أزمة الشرق الأوسط فهى معنية بشدة بالقضية الفلسطينية باعتبارها محور هذه الأزمة .

ومنذ حرب أكتوبر كانت لسوريا مواقفها من كافة مقترحات الحل ، وهى مواقف غالبا ما تتسم بالتشدد تجاه صيغ الحلول المنفردة التى تقبلها إسرائيل وتوافق عليها الولايات المتحدة .

وعلى الرغم من أن أطراف الصراع الأخرى التى كانت تعارض نفس المبدأ كانت لها أتصالاتها السرية أحيانا والمكشوفة غالبا مع إسرائيل ، مثل الأردن والفلسطينيين ، بالإضافة إلى مصر التى توصلت إلى إتفاقية سلام مع إسرائيل ، إلا أن سوريا منذ محادثات فض الإشتباك فى منتصف السبعينيات لم تكن على أتصال بإسرائيل ، بينما تميزت اتصالاتها بالولايات المتحدة بمحاولاتها الاستفادة إلى أقصى حد من ظروف الحرب الباردة بين القوتين العظميين.

وقد اشتهرت قيادة الرئيس حافظ الأسد بالقدرة على المناورة فى جميع اتصالاتها بما يضمن لها الحصول على أكبر قدر من المكاسب ، ولذلك استغلت التوتر الدولى بين القطبين الشرقى والغربى من أجل أن تحصل على أكبر دعم سياسى وعسكرى من الاتحاد السوفيتى والضغط على الولايات المتحدة وإسرائيل بما يتيح لها حرية الحركة على الساحتين العربية

والدولية ، دون أن تتلقى منهما ردود أفعال غاضبة .

وقد نجحت سوريا بهذه السياسة فى فرض منطقها الخاص على محددات الصراع العربى الإسرائيلى فى تشكيل الموقف العربى السائد حول القضية الفلسطينية ، وكذلك فى التواجد العسكرى والسياسى المكثف فى لبنان والذى أصبح يجد قبولا دوليا وعربيا معقولا .

ولكن منذ أن بدأت التحولات الليبرالية على الساحة السوفيتية بصعود جورباتشوف إلى سدة الحكم ، وما أدت إليه سياسته من ضعف الاهتمام بالقضايا الإقليمية ، وكذلك تصاعد هجوم إدارة الرئيس الأمريكى رونالد ريجان على كافة الأنشطة التى تهدد المصالح الأمريكية والتى أسمتها بالأنشطة الإرهابية ، توترت العلاقات بين الولايات المتحدة وسوريا إلى أبعد الحدود ، فوضعت سوريا ضمن القائمة السوداء للدول التى تشجع الأرهاب ، مع دول المنطقة الأخرى القريبة إلى سوريا والتى اشتهرت باستضافتها لبعض الفصائل الفلسطينية التى تفضل خيار استخدام القوة على ما عداه ، مثل ليبيا وإيران .

وهكذا بدأت سوريا محاولات التليين من موقفها لتقترب من صيغ الاعتدال فى العالم العربى ، وأسفر هذا عن مزيد من الاقتراب من الدول العربية المعتدلة مثل السعودية التى سبق لها وأن قادت أكثر المحاولات العربية ـ عدا مصر ـ اقترابا من الموقف المعتدل الذى طالما بحثت الولايات المتحدة عنه للتقريب بين وجهات النظر العربية والإسرائيلية وذلك فيما عرف بمقررات قمة فاس .

كما أثمر هذا التقارب مع الدول المعتدلة عن التوصل إلى أتفاقية الطائف التى تؤمل التوصل إلى تسوية ترضى جميع الأطراف المتحاربة فى لبنان وتحاول فرض السيادة الشرعية على كامل التراب اللبنانى مع استمرار الحماية السورية فى شكل دولى مقبول وهو معاهدات الصداقة والتعاون .

غير أن هذا لم يستطع أن يقنع الإدارة الأمريكية ولا حكومة إسرائيل بتغير أفكارها عن سوريا ، رغم ما بذلته الحكومة المصرية من جهود فى هذا الصدد بعد عودة العلاقات المصرية السورية التى ظلت مقطوعة بسبب أتفاقية كامب دافيد التى أدانتها سوريا ضمن الإدانة العربية العامة لها .

والحقيقة أن الولايات المتحدة ـ وربما إسرائيل أيضاً ـ اقتنعت بتغير الموقف السورى ، خاصة بعد أن فرضت سوريا ضغوطاً وقيوداً صارمة على الحركة الفلسطينية الموجودة على

أرضها ، إلا أنها لم تكن ترى ضررا من الاستمرار فى نعت سوريا بالأرهاب والإستمرار فى مساندة إسرائيل ضد خصومها فى إطار أن سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة كانت متوافقة إلى حد كبير مع السياسة الإسرائلية الهادفة إلى الاستفادة بعنصر الوقت الذى هو لصالحها، فلم تكن ترى أى عجلة فى تسوية قضية الشرق الأوسط ، وبالتالى فى ضرورة تغيير موقفها من سوريا .

ولكن ما أن نشب النزاع الخليجى حتى انضمت سوريا إلى المنظومة الدولية المتحالفة ضد العراق ، لأسباب رأتها سوريا حيوية لسياستها ، مثل عداءها التقليدى لنظام الحكم فى العراق ، وما ذكرناه أنفا من التقارب السورى الخليجى ، وربما أيضا ما ذكره بعض المحللين من احتياج سوريا للدعم المادى الذى يكافأ به كل من يشارك فى المجهود الحربى لتحرير الكويت ، حتى أن البعض يذكر أن سوريا لم توافق على أرسال أي جندى لها إلى المنطقة قبل أن يصلها كامل الثمن .

فى هذه الحالة فقط حرصت الولايات المتحدة على الاقتراب من سوريا وفتح جميع القنوات معها بما فى ذلك الاجتماع على مستوى القمة بين الرئيسين السورى حافظ الأسد والأمريكى چورج بوش .

والملاحظ على السلوك السورى أثناء أزمة الخليج أنه لم يفقد أيا من خصائصه التى أشتهر بها وهى التى تسعى إلى الحصول على أكبر قدر من المكاسب فى أى فرصة يمكن استغلالها وقد كانت أزمة الخليج هى الفرصة التاريخية الكبرى التى لا تتخيل سوريا أن باستطاعتها تعويضها .

فالدعم العسكرى والسياسى الذى كانت سوريا تحصل علية من الاتحاد السوڤيتى قد تقلص إلى الحد الذى بدأت فيه أنظار الاتحاد السوڤيتى نفسة تتجه نحو المنطقة بحثا عن تمويلات مناسبة لإنقاذ ما يمكن أنقاذه من إقتصادياته الداخلية المنهكة ، وبالتالى فأن الخيار العسكرى الذى كان من الممكن أن يدعمه الاتحاد السوفيتى عسكريا وإقتصاديا وسياسيا بدأت الشكوك تحيط إمكانية تحقيقه بشدة .

كما أن النظام الإقليمي العربى بكافة ترتيباته المؤسسية التى كانت نشيطة قبل الغزو قد تعرضت لهزة لا تقل عن الزلزال الذى عاشته الكتلة الشرقية من تساقط الأنظمة الماركسية ، ورغم عدم انخراط سوريا فى أى من هذه الترتيبات إلا أنها تأثرت إيجابياً بما أصابها لأن

إنهيار هذه الترتيبات يعنى فى الأساس عدم صحة الموقف العربى الذى لم يوفق إلى ضم سوريا لأى تجمع أقليمى مناسب .

بل أن أزمة الخليج نفسها قد أنشأت بالياتها تجمعا أقليميا جديدا شهد ذروة نشاط تأثيره أثناء الأزمة ، وهو إن لم يكن تجمعا رسميا له ترتيباته المؤسسية الخاصة إلا أنه كان ملحوظا ونشيطا ومؤثرا ويتكون من سوريا والسعودية ومصر ، وهو نفس التجمع الذى أفرز بعد ذلك إعلان دمشق بعد أن أنضمت إليه باقى دول مجلس التعاون الخليجى . ولا ريب أن هذا التجمع أخذ فى التفرق منذ انتهاء أزمة الخليج .

واستفادت سوريا من أزمة الخليج أيضا فى أنها استغلت انشغال العالم بالأزمة، وإسرائيل بصواريخ سكود العراقية ومواجهة الانتفاضة، والعراق بمواجهة معظم العالم، فانقضت على الجيش اللبنانى المنشق على اتفاق الطائف والرافض للوجود السورى فى لبنان بقيادة العماد ميشيل عون الذى اضطر فى النهاية إلى التسليم والهرب إلى فرنسا بعد عدة شهور من الاختباء فى سفارتها فى بيروت ، لتضمن سوريا بذلك وتدعيم بقائها فى لبنان .

على صعيد القضية الأساسية وهى الصراع مع إسرائيل تسير السياسة السورية على محورين : فى الأول فهى من ناحية تشجع القيام بترتيبات أمنية فى منطقة الخليج يمكن أن تشمل سوريا أيضا باعتبار قربها الجغرافى وتشارك فيها إيران وربما تركيا أيضا وتستطيع أن تمنع وقوع اعتداء أى دولة أخرى فى المنطقة . وربما لوتحقق هذا النظام الأمنى الذى نجحت سوريا فى حشد الموافقين عليه بما فى ذلك السعودية أثناء أزمة الخليج لكان استثمارا ذكيا للأزمة من ناحية ما يترتب عليها من نظام أمنى جديد . وأما المحور الثانى فهو المشاركة فى ترتيبات السلام فى الشرق الأوسط التى تكللت بالدعوة الأمريكية السوفيتية لعقد مؤتمر أقليمى للسلام فى الشرق الأوسط ، ويبدو أن سوريا كانت منذ المراحل الأولى لاندلاع أزمة الخليج عازمة على المشاركة فيه بكل ما يحمل من تنازلات كان على الجانب السورى أن يقدمها ، خاصة وأن المعلومات التى خرجت عن القمة السورية الأمريكية التى انعقدت فى جنيف ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٩٠ ـ قليلة إلى الحد الذى يجعل المشاركة السورية الفعالة فى حرب الخليج فى مقابل التعهد الأمريكى بحل الأزمة الشرق أوسطية بعد الحرب .

وفى إطار هذه الترتيبات يصبح على الأرجح أن تقبل سوريا بترتيبات أمنية مضمونة دوليا ـ أو أمريكيا روسيا أوروبا بما يعنى عمليا أمريكيا فقط ـ فى مرتفعات الجولان منزوعة السلاح

تضمن أمن إسرائيل ، وربما تسمح كذلك بالوجود المدنى الإسرائيلى من خلال آليات تطبيع يتفق عليها فى مفاوضات السلام .

ولسنا نعتقد أن ثمة اتفاق أمريكى سورى على ما هو أبعد من ذلك من تعاون سياسى وثقافى ، ذلك أن الموقف داخل الولايات المتحدة وخاصة فى الكونجرس ما يزال يعتبر سوريا من الدول المشجعة للأرهاب الدولى وما زال اللوبى الصهيونى داخل أمريكا يلعب دوره من أجل ألا تتعمق العلاقات بين الإدارة الأمريكية والنظام السورى .

ومن وجهة النظر السياسية ما تزال لسوريا تحفظات كثيرة على الموقف الأمريكى خاصة فيما يتعلق بالتمثيل الفلسطينى فى مؤتمر السلام ، بينما تدعم سوريا بعض المنظمات الفلسطينية المشاركة فى منظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك يوجد تنسيق أردنى سورى تجاه التمثيل الفلسطينى ، إلا أنها لا ترفض أن تكون منظمة التحرير الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، إلى جانب تحفظات سوريا على التسليح الأمريكى لإسرائيل الذى يخل بالميزان العسكرى بين العرب وإسرائيل . ولهذا فأن العلاقات السورية الأمريكية ليست وطيدة للدرجة التى تسمح بنشوء علاقات تعاون على أصعدة أخرى .

الموقف اللبنانى :

ليس لإسرائيل أى اشتراطات للانسحاب من لبنان سوى انسحاب القوى الأجنبية الأخرى الموجودة على أرضه . وتقصد بذلك القوات السورية وفصائل الفلسطنيين الموجودين فى الجنوب.

وكما أن هناك افتراض بإمكانية وجود ترتيبات أمنية فى مرتفعات الجولان تضمن أمن إسرائيل إذا انسحبت منها ، فيمكن تطبيق نفس الافتراض على الحالة اللبنانية .

فالمقصود فى مباحثات السلام أن يتم التوصل إلى صيغة أمنية تحفظ المصالح السورية فى لبنان وتضمن أمن إسرائيل ، خاصة إذا أتفق الطرفان على ضرورة التخلص من الوجود الفلسطينى المسلح والمنظم فى جنوب لبنان ، بما يمثله من خطوره لكل من سوريا وإسرائيل .

وتسعى سوريا بالفعل حاليا إلى مساندة الجيش اللبنانى لبسط نفوذه على المناطق التى تسيطر عليها المليشيات الفلسطينية فى الجنوب ونزع سلاحها ولن يكون بعيداً أن يقرر

الفلسطنييون ذلك فى إطار صفقة المؤتمر الشاملة .

والأرجح على أى حال أن يتم التوصل إلى حل المشكلة اللبنانية عن طريق التفاوض مع سوريا أساسا ، فسوريا هى الضامن لإتفاقيات الطائف ، والضامن لبقاء الشرعية اللبنانية ، بل أنها تحمي الرئيس اللبناني نفسه .

والتساؤل عن لبنان بعد حل الأزمة رغم أنه سابق لأوانه ألا أنه يجد إجابته من فحص الواقع اللبنانى نفسه فلبنان دولة نشأت فى القرن الماضى بمساعدة الفرنسيين لمارونى الجبل ، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن مرتبطة بالثقافة الغربية ـ الفرنسية أساسا والغربية بصفة عامة .

ورغم أن لبنان المستقبل ستكون أقرب إلى الوصاية منها إلى النفوذ الفرنسى ، ألا أن أحدا لن يستطيع فصل لبنان عن توجهاته وثقافته الليبرالية الميالة إلى الغرب بصفة عامة أينما كان هذا الغرب ، فى فرنسا أو فى دول المهجر وهى أمريكا الشمالية والجنوبية .

الموقف المصرى :

هل تتحول مصر من دور الوسيط إلى دور الشريك الفعال فى مباحثات السلام فى الشرق الأوسط ؟ سؤال لن تستطيع الإجابة علية سوى الأحداث القادمة فى المنطقة، لقد أفترض أحد الباحثين الأمريكيين أن إسرائيل ربما تتمادى فى السيطرة على الأراضى المحتلة وتقرر هدم المسجد الأقصى لأتمام عملية تهويد القدس . فماذا يكون الموقف المصرى ؟

ربما صح أن نقول أن الموقف المصرى يتراوح بين هذا وذاك ، فهو الوسيط الشريك الفعال، وتبرهن الأحداث الأخيرة عبر التراشقات الخطابية بين مصر وإسرائيل فيما يتعلق بالاستيطان ونشاط شامير الإرهابي الماضى فى منظمة " شتيرن " على أن الموقف المصرى الرافض للسياسة الإسرائيلية له تأثيره القوى فى مجرى الأحداث .

مصر ترى أن التمثيل الفلسطينى لا يجب أن يتوارى خلف مسميات مثل " عدم الانتماء لمنظمة التحرير " لأن الواقع يقول أن المنظمة ما تزال هى أصلح من يمثل الفلسطينيين ويضمن أى إجراءات يمكن أتخاذها فى أى مفاوضات سلام . وأنه إذا لم يشارك الفلسطينيون فى جهود السلام بموافقة المنظمة واختيارها فأن أى ترتيبات قادمة سوف تكون كقصور الرمال تنهار مع أى دفقة رياح .

مصر ترى أن السير فى جهود السلام سوف يدفع المنطقة إلى مزيد من الاستقرار الذى

يحافظ على المصالح الحيوية للعالم غربا وشرقا ، كما أنه يدفع للتضامن العربى الملتف حول موقف واحد فى هذه الجهود .

مصر ترى أن أى ترتيبات أمنية للمنطقة لابد أن تراعى احتياجات دولها ، وتفضل أن تنبع هذه الترتيبات من دول المنطقة ذاتها دون الحاجة إلى تدخل أجنبي ، بما يعنى موافقتها على أى إطار أمنى تضمن به إسرائيل أمنها ولا يهدد الدول العربية ، وبالتالى فهى تشجع الاستقرار على كافة الجبهات : السورية واللبنانية والأردنية .

مصر تنادى بنزع أسلحة الدمار الشامل من المنطقة بأسرها ، وإلا سوف يكون من المشروع أن تبحث كل دولة عن الرادع الذى تستطيع به الدفاع عن نفسه ضد كل من يمتلك هذا الرادع فى المنطقة ، وقد أشارت إلى رفضها استثناء إسرائيل من هذه الخطوة ، لما يمثله ذلك من خطورة على الأمن القومى العربى .

مصر أيضا معنية بالأمن المائى للمنطقة لتحاشى الآثار السلبية لحرب المياه على مصر وعلى باقى دول المنطقة .

لذلك سوف يكون لمصر دورها المؤثر فى المفاوضات خاصة فى لجان الترتيبات الأمنية والمياه ونزع السلاح ، وربما كان دورها محوريا فى المفاوضات نظرا للثقل السياسى الذى استعادته على المستوى العربى والإفريقي والدولى .

الموقف الأوروبى :

اثبتت أزمة الخليج أن أوروبا تابع أمين للولايات المتحدة . ورغم أن لأوروبا موقف ثابت وواضح من قضية الشرق الأوسط ، تنادى فيه بضمان أمن إسرائيل والمحافظة على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وهو موقف يستطيع أن يقف ضد إسرائيل وينصف الأطراف العربية ولهذا السبب ترفضة إسرائيل .

ولكن الأوراق التى تملكها أوروبا للتأثير على إسرائيل كثيرة وخاصة بعد توحدها العام القادم وتكتلها إقتصاديا بشكل يمكن أن يؤثر على الإقتصاديات الإسرائلية إذا قررت أوروبا الموحدة اتخاذ عقوبات أو مقاطعة أقتصادية لإسرائيل ، والعكس صحيح ، فمن يملك العقاب يملك الثواب أيضا ، فتستطيع أوروبا التلويح بورقة المعونة الفنية والمالية لإسرائيل حتى تستجيب لشروط معينة ، وفى هذه الحالة سوف يكون القرار أوروبيا جماعيا ، تتحد فيه الأراء

الفرنسية والبريطانية والألمانية التى ربما اختلفت فى غياب الوحدة الأوروبية .

وربما يتميز موقف الفاتيكان عن باقى الموقف الأوروبى ، فما زال الفاتيكان حريص على ألا تصبح القدس عاصمة عبرية لإسرائيل ، ويعترف بالحق الفلسطينى فى إيجاد وطنه ودولته ، بل وينادى الفاتيكان بأن يحتشد العالم لتنفيذ إرادة المجتمع الدولى بالنسبة للحقوق الفلسطينية كما تحرك بالنسبة للكويت ، ينادى الفاتيكان بالسلام والعدل والأمن بالمنطقة ، بإزالة الظلم الواقع على الفلسطينيين .

ربما كان التغير الوحيد الذى طرأ على موقف الفاتيكان هو مطالبته بأن تعيش إسرائيل " داخل حدود أمنه وبانسجام تام مع الجيران " كذلك الحديث عن " الوطن الفلسطينى " وليس عن " الدولة الفلسطينية " ، وعلقت الفاتيكان علاقاتها بإسرائيل على البدء بإجراء مفاوضات السلام.

أمريكا ... الآن

الموقف الأمريكى الآن لا يختلف كثيرا عن الموقف الأمريكى منذ انتهاء حرب الخليج . فأمريكا ماضية فى خطتها لتصفية جيب المشاكل الشرق أوسطية ، وتحاول أن تستخدم كل ما لديها من أوراق للضغط على إسرائيل . فهى من ناحية لم تغير موقفها المعلن من أن إسرائيل هى حليفها الإستراتيجي ، ولم تقلل من معونتها الفنية والمالية والعسكرية ، ولم تتوقف أمداداتها بالسلاح .

ولكن من الواضح أن أمريكا تتفق مع مطلب معظم العرب فى توفير الأرض للفلسطينيين وعدم استهلاكها فى بناء المستوطنات للمهاجرين .

ولهذا السبب قررت إدارة بوش مناشدة الكونجرس تأجيل نظر الضمانات التى تقدمها الحكومة الأمريكيه لإقراض إسرائيل ١٠ مليار دولار للمساعدة فى توطين المهاجرين السوفيت إليها . وتنطلق إدارة بوش فى ذلك؛ من تجربتها الحية فى التعامل مع إسرائيل على الاحتيال لتنفيذ برامج الاستيطان فى الأراضى المحتلة بالأموال الأمريكية مما يفسد جهود السلام التى تدعمها الولايات المتحدة وترغب فى تحقيق نجاح ملموس فيها .

لكن التجارب أثبتت أيضا أن رد الفعل الإسرائيلى لا يأبه كثيرا بموقف الإدارة الأمريكية ويلجأ على الفور إلى الكونجرس الذى يغض باللوبى الصهيونى المؤيد لإسرائيل ولو على حساب

المصالح الأمريكية ، وهو بالفعل ما حدث حيث هدد شامير باللجوء للكونجرس مباشرة ، وأعلن " ملكية " إسرائيل للأراضى العربية المحتلة التى ستدور حولها فى الأساس مفاوضات السلام القادمة بناء على قرارى الأمم المتحدة ٣٣٨ و٢٤٢ ولهذه الأزمة نهايات عديدة أرجحها أن تقدم أمريكا معونه مالية محدودة لإسرائيل ريثما توافق لها على طلب الضمانات بعد بدء المفاوضات مباشرة .

أوراق القضية الفلسطينية

(١) ياسر عرفات ... من هو ؟

أسمه الحقيقى عبد الرحمن عبد الرؤوف عرفات القدور ، ولد بالقدس عام ١٩٢٩ ، وتنتسب والدته إلى نسل الرسول عليه الصلاة والسلام ، أما والده فكان من رجال الأعمال الميسورين عاش فى غزة ثم انتقل إلى القاهرة .

وترتيب عرفات الخامس بين اشقائه السبعة وقد أنهى تعليمه الثانوى فى غزة ، ولا أحد يعرف كثيرا عن تفاصيل هذه الفترة من حياته غير أنه يقول أنه قد شغلها بالكفاح ضد الحركة الصهيونية . وفى أعوام الخمسينات أنتقل إلى القاهرة حيث ألتحق بكلية الهندسة وأنتخب رئيسا لاتحاد الطلبة الفلسطينيين . وفى عام ١٩٥٦ كان ضابطا إحتياطيا وشارك فى حرب ١٩٥٦ . بعدها سافر إلى الكويت حيث عمل مهندسا مدنيا وكون فى السر جماعات الفدائيين .

وفى عام ١٩٥٩ كون مع مجموعة من اصدقائه الحركة الوطنية لتحرير فلسطين ، شارك فيها فاروق قدومى وخالد الحسن وخليل الوزير (أبو جهاد) وصلاح خلف (أبو أياد) واسمو هذه المنظمة " حركة فتح " والتى أعلنت الكفاح المسلح ضد إسرائيل فى أول يناير من عام ١٩٦٥ . فى تلك الفترة كان ياسر عرفات يعرف باسم رؤوف ، وقد قام برحلات تحت هذا الأسم وببطاقات سفر مزورة إلى سوريا والأردن ولبنان وكون علاقات سرية مع جزائريين وصينيين .

وكان من أثار نكسة يونيو ١٩٦٧ أن اتضحت الحاجة إلى تكوين منظمة تستطيع تنظيم صفوف الفلسطينيين والمطالبة بحقوقهم ، وكانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أعلنت رسميا فى القدس عام ١٩٦٤ برئاسة أحمد شقيرى وبقرار من جامعة الدول العربية ، ولكن ياسر عرفات استطاع أن ينضم مع عدد أخر من حركات التحرير الفلسطينية ومنها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (چورچ حبش) والجبة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين (نايف حواتمه) والجبة الشعبية (أحمد جبريل) والجبة العربية للتحرير (وادى حداد] ، وجبهات أخرى صغرى، وكان ذلك فى ديسمبر عام ١٩٦٧ .

وفى مارس التالى كسب فدائيو فتح (أكبر المنظمات الفلسطينية) معركة الكرامة ضد إسرائيل وهى التى أبرزت أسم ياسر عرفات إلى المجتمع الدولى ، فقد كان أسمه الحركى " أبو

عمار " ، نسبة إلى عمار أبن ياسر ولهذا عرف منذ ذلك الوقت باسم ياسر عرفات (أبو عمار). وفى ٣ فبراير عام ١٩٦٩ انتخب رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومنذ ذلك الوقت أصبح رمزا للمنظمة .

اختلفت الأراء حول ياسر عرفات : إسرائيل بالطبع تعتبره أرهابيا يهدف إلى تدمير دولة إسرائيل ، وخصومه من الفلسطينيين والعرب يعتبرونه أنتهازيا متعدد الوجوه . أما اتباعه فيصفونه بأنه دبلوماسى ماهر وإستراتيجي عظيم . ورغم أن ياسر عرفات لم يترك بندا من قاموس الأخطاء إلا وأرتكبه ، ومنى بكل أنواع الهزائم ، إلا أن مكانته ظلت كما هى لم تتأثر (مما يعد لغزا من الغاز السياسة فى العالم العربى) . وربما يكون تفسير ذلك فى أنه مكيافيللى النزعة حيث أنه يؤمن بأن كافة الوسائل مشروعة لتحقيق هدفه ، ولهذا فهو لا يتورع عن أن يظهر عدة وجوه متقلبه فى أوقات متقاربه ، فهو التقى الورع وهو الدبلوماسى الناعم ، وهو المحارب الجرئ ، وهو رجل الدولة المعتدل . وهذه الصفات التى تشجع كثيرا من الأوساط الدولية على ترشيحه كممثل مناسب ومفاوض مثالى للفلسطينيين فى أى مباحثات سلام .

فى قمة الرباط (١٩٧٤) حصل ياسر على اعتراف المؤتمر بالمنظمة كممثل شرعى وحيد للشعب الفلسطينى وفى نفس العام خطب ياسر عرفات فى الجمعية العامة للأمم المتحدة وحصل للمنظمة على صفة عضو مراقب فى الأمم المتحدة . تعمقت صلاته مع دول الخليج بعد حرب ١٩٧٣ وارتفاع أسعار البترول وزيادة ثروات هذه الدول التى اعتمد عليها كمصادر رئيسية للتمويل .

وينتهج عرفات خطة عمل على المستويين : أحدهما المستوى العلنى ، وهو عمل دبلوماسى نجح فيه أن يحصل على إعتراف ١٢٠ دولة رسميا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى ، أما المستوى الثانى فهو سرى ، وفيه يبذل جهودا لعقد أتصالات مع أمريكا وإسرائيل ، وخاصة القوى المعتدلة فيهما . وكان لهذا المنهج أثره فى إختلاف القوى الفلسطينية على قيادة عرفات ، كما أنه كان منهجا لا يرضى سوريا . واشتد هذا الخلاف عندما انتهج عرفات سياسته المعتدلة فقبل قرارات الأمم المتحدة ـ المتعلقة بالإعتراف بإسرائيل ـ واعلن نبذ المنظمة للأرهاب ووطد أتصالاته العلنية مع دعاه السلام الإسرائيليين ومع الأمريكيين ، وعلى الجانب الأخر أخذت سوريا تقوى المنشقين عليه .

فى تلك الفترة قبل عرفات مبادرات سلمية صدرت من الرئيس ريجان والملك فهد ، كما

اعلنت دولة فلسطين (نظريا) عام ١٩٨٨ ، وحاول لم شمل الفلسطينيين الذين تفرقوا عقب وبسبب الغزو الإسرائيلي للبنان (١٩٨٣) وأسس مقرا مركزيا للمنظمة فى تونس .

وبعد أن أيد عرفات الغزو العراقى للكويت ووقف إلى جانب صدام حسين على طول الخط بهدف حشد كل القوى الفلسطينية حوله ، واجه مشكلات كثيرة هددت بتقويض المنظمة ، وربما باغتياله أيضا طبقا لبعض الأنباء . وبعد هزيمة صدام عاد عرفات يمارس دبلوماسيته من تونس ويعلن مبادرة جديدة ينزع بمقتضاها سلاح دوله فلسطين القادمة وإجراء انتخابات حرة وعقد اتحاد كونفدرالى مع الأردن . ولكن الولايات المتحدة مازالت تعترض على الحوار معه وتفضل أن تحاور فيصل الحسينى زعيم فلسطين القدس وهو قومى براجماتى النزعة .

(٢) المنظمات الفلسطينية

بعد انتهاء حرب الخليج دهش خبراء الأرهاب فى العالم لعدم تحرك المنظمات الإرهابية التى حشدها صدام حسين بأسم الجهاد الإسلامي ضد المصالح الغربية والعربية الحليفة ، وخاصة المنظمات التى يمولها وينظمها فلسطينيون . ومن بين الأسباب التى طرحت لتبرير هذا الهدوء ما جاء بتقرير مشترك للمخابرات المركزية الأمريكيه والموساد ، شاركت فيه أيضا مخابرات الجيش الأمريكى بعنوان " ملامح الجماعات الإرهابية Terrorist Group Prafiles " وهو تقرير يرجع إلى عام ١٩٨٨ ويتم تحديثه سنويا . جاء فى هذا التقرير أن ضرب مقار الأرهاب فى العراق (أبو نضال وأبو العباس وكارلوس) كان من بين أهداف ضربات الطائرات الأمريكية ، كذلك ادى تغير الموقف الجيوبوليتكى إلى اختفاء معظم القوى التقليدية المساندة لمثل هذه العمليات مثل سوريا التى شاركت فى التحالف الغربى وإيران التى اعلنت حيادها ، وليبيا التى نأت بنفسها عن اللعبة والدول الإشتراكية فى شرق أوروبا التى تسبب التحول عن الإشتراكية فيها إلى وصد الأبواب دون الأشخاص غير المرغوب فيهم والذين كانوا يلجأون إليها للاحتماء ، وكذلك لعدم دخول إسرائيل المعركة .

ولكن خبير الأرهاب البريطانى " بول وليكنسون " يرى أن كل هذه الأسباب معقولة ، بيد أنه لا يوافق على أن المنظمات الإرهابية فى أزمة ، فهى ـ كما يؤكد بكل تنظيماتها ، ربما تكون الآن فى مرحلة إعادة تفكير وتنظيم .

ويقدر الخبراء عدد الإرهابيين الذين ينتمون لجماعات فلسطينية بنحو ألفى رجل ، ولكن هناك مئات الآلاف مما يسمونهم بالإرهاب السلبى ، أى الذى يكون فى حالة خمول دائم وينشط فى أى لحظة يطلب منه ذلك .

ويعتبر خبراء الأرهاب فى العالم المنظمات الفلسطينية كلها مصدرا من مصادر الأرهاب بسبب قيامها بعمليات اغتيال خارج فلسطين المحتلة ، مما لا يعده القانون الدولى من أعمال الكفاح الوطنى ، أما المنظمات الفلسطينية فهى :

(١) فتح ـ المجلس الثورى : وهو الأسم الشائع لمنظمة أبو نضال ، وتعتبر هذه المجموعة من أقوى المجموعات وأكثرها تنظيماً ، تملك شركات تجارية وصناعية ضخمة ، وهى

معادية لياسر عرفات ونهجه السياسي ، بل انها حكمت عليه بالأعدام ، وهى مسئوله عن عدد كبير من الاغتيالات ، منها اغتيال أبو أياد في تونس وهى الجريمة التى تعددت مؤشرات الإتهام فيها وشملت الموساد وأبو نضال والمخابرات الأمريكية . وقد ترددت أشاعات كثيرة عن موت أبو نضال أو اعتزاله العمل ، وتؤكد مصادر متفرقه وجوده في طرابلس بليبيا .

(٢) جبهة تحرير فلسطين : زعيمها هو أبو العباس وهى مسئولة عن عمليات كثيرة منها اختطاف السفينة الإيطالية أكيلي لاورو ويعتقد أن مقرها هو بغداد حيث شوهد أبو العباس كثيرا إلى جوار صدام حسين . وكان قد ألقى القبض في أثينا منذ عدة شهور على خالد عبد الرحيم نائب أبى العباس مما اعتبر ضربة قاصمة للمنظمة . ومؤخرا صرح أبو العباس في بغداد أن الكفاح المسلح ضد إسرائيل سوف يستمر حتى النصر النهائى .

(٣) جماعة ١٥ مايو : وهى مجموعة غامضة مسئولة عن العمليات الأوروبية . (خطف طائرات ونسف منشأت عسكرية وتصفيات جسدية) وقد كشف أحد كوادر هذه الجماعة وهو عدنان عواد للمخابرات الأمريكية أن المنظمة منشقة على جماعة أبو نضال وانها من سوريا ويرأسها أبو إبراهيم (حسين العمارى) .

(٤) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : هى جماعة جورج حبُش المصرة على إنشاء دولة فلسطين من خلال الكفاح المسلح ، ويغلب عليها الفكر الماركسى . مقرها الرئيسى فى دمشق وتمولها ليبيا واليمن ، وتنحصر معظم عملياتها في إسرائيل أو على الحدود معها .

(٥) الجبة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة : تعتبر من أقدم المنظمات الفلسطينية المسلحة ـ بدأت عملياتها عام ١٩٦٨ ـ ويرأسها أحمد جبريل . ترتبط هذه المنظمة ارتباطا شديدا بسوريا بجماعة حزب الله المتطرفة . زعيمها أحمد جبريل مطلوب محاكمته في أمريكا ، التى تضغط على الرئيس الأسد لتسليمه لها .

(٦) الجهاد الإسلامي : يعتقد الخبراء انها اقوى منظمة ولا يمكن اختراقها ، وهى التى تقود الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة ، وزعيمها هو الشيخ أسد التميمى أمام المسجد الأقصى السابق ويعيش في الأردن حيث الجناح العسكرى للمنظمة والذى يرأسه إبراهيم مربيل . وهى منظمة منشقة عن منظمة الجهاد الموالية لإيران والتى يتزعمها الشيخ فضل الله .

(٧) الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين : جماعة محدودة القوة أسسها نايف حواتمه عام ١٩٦٩ ، وتمارس دورا سياسيا كبيرا وتحظى بدعم من الاتحاد السوفيتى .

(٨) فتح : الجماعة التى ينتمى إليها ياسر عرفات وكان يقودها صلاح خلف قبل اغتياله فى يناير الماضى . يعتقد الإسرائيليون أن هذه المنظمة تدعم " القوة ١٧ " وهو التنظيم العسكرى لمنظمة التحرير ولكن المنظمة لا تدعو للأرهاب ، لكنها لا تعترف بإسرائيل وتنادى باستعادة أرض فلسطين .

وبعد ، ليست هذه هى كل المنظمات الفلسطينية ولكنها أهم وأشهر هذه المنظمات وأكثرها قدرة على الحركة والفاعلية .

(٣) أهم الشخصيات الفلسطينية

(١) ياسر عرفات :

رئيس دولة فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية ... وسبق أن أشرنا إلى سيرته الذاتية .

[٢] مبارك عواد :

منظم الكفاح غير المسلح فى الأراضى المحتلة ، ولد بالقدس وهاجر إلى أمريكا ١٩٦٩ بعد أتهامه بقيادة مظاهره ضد الاحتلال الإسرائيلى للقدس . فى أمريكا حصل على شهادته الجامعية فى الفلسفة وعلم النفس وتخصص فى نظرية اللا عنف ، ثم عاد إلى القدس عام ١٩٨٥ وأخذ يدعو لنظريته وأنشأ لها مركزا للأبحاث طرد عام ١٩٨٨ على أساس أنه العقل المفكر للانتفاضة .

[٣] صبرى البنا :

(أبو نضال) ولد عام ١٩٣٦ فى يافا لأسرة عربية ثرية تملك العديد من الأراضى ، ولجأ إلى غزة بعد حرب ١٩٤٨ . وفى عام ١٩٦٠ هاجر إلى السعودية وطرد منها عام ١٩٦٧ بسبب نشاطه السياسى ، فانضم للفدائيين فى الأردن ، وفى عام ١٩٧٢ أساس منظمة فتح ـ المجلس الثورى ليعارض ياسر عرفات . حكمت عليه المنظمة بالأعدام بعد محاولته اغتيال عرفات عام ١٩٧٤ . يقيم فى ليبيا أو فى العراق .

[٤] بسام أبو شريف :

المستشار السياسى السابق لعرفات ومؤسس الخط المعتدل للمنظمة ، وأول من أوحى بفكرة إعتراف المنظمة بإسرائيل . ودعا فى مارس الماضى إلى أن يترك الفلسطينيون بعض الأرض لإسرائيل مقابل السلام وهو الأمر الذى لم يعجب زملاءه فاضطروه للاستقالة .

[٥] محمود درويش :

(٥١ سنه) وهو أكبر الشعراء الفلسطينيين ، أنتخبه المجلس الوطنى الفلسطينى عام ١٩٨٧ ليكتب دستور دولة فلسطين الذى اعلن عام ١٩٨٨ .

[٦] جورج حبش :

ولد عام ١٩٢٦ من أسرة يونانية اورثوذكسية تعمل بالتجارة . اضطرت الأسرة بعد الحرب للهجرة إلى بيروت حيث التحق جورج بكلية الطب وتخصص فى طب الأطفال . فى عام ١٩٥٢ أسس حركة القوميين العرب وفى عام ١٩٦٧ كون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وقاد الاتجاه القومى العربى ضد اتجاه ياسر عرفات القومى الفلسطينى وكان سببا فى النزاع بين المنظمة والأردن عام ١٩٧٠ ، وهو زعيم المعارضة فى المنظمة ضد ياسر عرفات حيث قاد جبهة الرفض عام ١٩٧٣ وجبهة الإنقاذ الوطنى عام ١٩٨٥ وله سطوه داخل المنظمة . أجرى جراحة بالمخ عام ١٩٨٠ .

[٧] خمر حماد :

ممثل المنظمة فى تونس ومشهور بعلاقاته الحميمة مع كبار رجال السياسة الإيطاليين .

[٨] هانى الحسن :

ولد فى حيفا من أسرة ميسورة ومارس نشاطه السياسى أثناء دراسته فى أوروبا كرئيس للاتحاد العام لطلاب فلسطين وفى عام ١٩٦٣ أنضم لفتح ، وهو أحد المستشارين السياسين القلائل المقربين لياسر عرفات ، ويرجع إليه الفضل فى التوصل إلى أتفاق بين المنظمة والأردن . فى عام ١٩٨٥ كلف من ياسر عرفات مع أبو عباس لمفاوضة مختطفي اكيلى لاورو .

[٩] خالد الحسن (أبو سعيد) :

شقيق هانى الحسن وعمره ٦٣ عاما . هاجر إلى سوريا بعد حرب ١٩٤٨ حيث شارك فى

أنشطة حزب البعث ثم أنتقل للكويت لكى ينضم إلى فتح و يصبح مسئولا عن الأعلام . سفير متجول للمنظمة وبطل عديد من المفاوضات مع الدول العربية .

[١٠] نايف حواتمه :

أردنى الجنسية مسيحى الديانة (يونانى ارثوذوكسى) ولد عام ١٩٣٥ ودرس بالقاهرة ثم أنضم عام ١٩٤٥ لحركة القومين العرب ، وحكم عليه بالأعدام لنشاطه فى الأردن . شـارك (٦٣ ـ ١٩٦٧) فى كفاح عدن ضد الاستعمار الإنجليزى . بعد العفو عنه عاد إلى الأردن حيث شارك فى تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والتى أنفصل عنها ليؤسس عام ١٩٦٩ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين المعروفة بخطها الماركسى ولكنه يساند عرفات فى فكرة الدولة الفلسطينية المصغرة .

[١١] حسين عمارى (أبو إبراهيم) :

قائد مجموعة ١٥ مايو المنشقة على منظمة التحرير ، ولد بالعراق عام ١٩٣١ وهو متخصص فى المتفجرات . أرتبط أسمه بحوادث نسف الطائرات .

[١٢] فيصل الحسينى :

(٥١ سنه) مدير مركز الدرسات العربية بالقدس . رأس الوفد الفلسطينى الذى التقى بوزير الخارجية الأمريكى أثناء زياراته للمنطقة . أبن أمين الحسينى مفتى القدس المستشهد فى حرب ١٩٤٨ . درس بجامعة القاهرة حيث التقى بعرفات . أنضم لفتح وعاد سرا للقدس بعد حرب أكتوبر . تتهمه إسرائيل بأنه ممثل المنظمة فى الأراضى المحتلة وأحد أبطال الانتفاضة والقى القبض عليه عدة مرات ، يميل إلى تشجيع الحوار مع إسرائيل ومعتدل فى نهجه السياسى .

[١٣] فاروق قدومى (أبو اللطف) :

ولد فى يافا وانتقل بعد ٤٨ إلى نابلس ثم إلى السعودية . التحق بكلية الحقوق بالقاهرة عام

١٩٥٤ حيث مارس النشاط السياسى مع عرفات ، ثم أنضم إلى حركة فتح . يعتبر وزير خارجية فلسطين .

[١٤] أحمد جبريل :

ضابط سابق بالمخابرات السورية ، أسس عام ١٩٦٨ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) بعد إنفصاله عن جماعة چورچ حبش . معظم عملياته داخل إسرائيل ، وهو يؤيد الوجود السورى فى لبنان ، وطرده المجلس الوطنى عام ١٩٨٤ .

[١٥] أبو موسى :

قائد الفتح (القيادة العامة) المنشقة عن حركة فتح عام ١٩٨٣ احتجاجا على خطة السلام العربية فى مؤتمر قمة فاس . تسانده سوريا ، وقف ضد الفلسطينيين المؤيدين لعرفات فى لبنان .

[١٦] أدوارد سعيد :

أستاذ الأدب بجامعة كولومبيا الأمريكية منذ عام ١٩٦٣ ـ عمره ٥٦ عاما . المنفى والعزلة هما أهم سمتين فى أنتاجه الأدبى .

[١٧] حنا سنيورة :

رئيس تحرير " الفجر " ، وهى أكبر صحيفة تصدر فى الضفة العربية ، وهو أكبر شخصية تدعم الحوار الفلسطينى الإسرائيلى عمره ٥٤ سنة مسيحى الديانة ، معتدل السياسة ، قريب من عرفات ، وفى نفس الوقت قريب من إسرائيل . فى الانتخابات البلدية للقدس عام ١٩٨٧ ، رشح نفسه على رأس قمة فلسطينية .

[١٨] أنتصار الوزير (أم جهاد) :

أرملة أبو جهاد . انخرطت فى النشاط السياسى بعد اغتيال زوجها ، وهى أحدى

الشخصيات النسائية القليلة (مع حنان عشرواى) فى الوسط السياسى الفلسطينى .

[١٩] حنان عشرواى :

مدرسة لغة إنجليزية فى القدس ، وتعتبر ممثلة للفلسطينيين فى الأرض المحتلة . حققت معها السلطات الإسرائلية بتهمة الاجتماع مع ممثلين لمنظمة التحرير ، وهى أحدى أعضاء الوفد الفلسطينى الذى يتولى التفاوض مع وزير الخارجية الأمريكى چيمس بيكر .

قرارات الأمم المتحدة
الخاصة بالقضية

منذ عام ١٩٤٧ ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة تعالجان قضية الشرق الأوسط فى مناسبات مختلفة . والقرارات على كثرتها لم توافق هوى الدول المعنية ، وفيما يلى أهم هذه القرارات والتى يمكن أن تشكل أساسا لحل سلمى للقضية الفلسطينية .

القرار ١٨١ :

الجمعية العامة توصى المملكة المتحدة بصفتها وصية على فلسطين ، وكذلك الدول الأخرى الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة تبنى وتنفيذ خطة التقسيم والوحدة الإقتصادية فيما يتعلق بحكومة فلسطين القادمة والمرفقة بالقرار .

وتقضى الخطة بأن " الدولتين المستقلتين العربية والعبرية وكذلك النظام الخاص الموضوع لمدينة القدس تقوم بعد شهرين من إجلاء قوات الحماية وفى كل الأحوال فى موعد لا يتأخر عن الأول من أكتوبر عام ١٩٤٨ .

تمت الموافقة على القرار يوم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ .

القرار ٢٤٢ :

يعلن " عدم جواز ضم الأراضى بالحرب وضرورة العمل على إيجاد سلام عادل ودائم يسمح لكل دولة فى المنطقة بالعيش فى حالة أمن " .

ويقضى القرار " بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضى المحتلة فى النزاع الأخير والتوقف عن جميع أعمال الحرب واحترام والإعتراف بسيادة ووحدة أراضى واستقلال جميع دول المنطقة وحقهم فى العيش فى سلام داخل حدود أمنه ومعترف بعا بعيدا عن استخدام القوة والتهديد بها " .

كذلك يؤكد القرار الحاجة إلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وضمان عدم انتهاك

الأراضى والاستقلال السياسى للمنطقة من خلال إجراءات من ضمنها خلق مناطق منزوعة السلاح " .

وتمت الموافقة على القرار يوم ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

القرار ٣٣٨ :

يقضى مجلس الأمن بأن " يوقف الطرفان المتحاربان إطلاق النار فورا وفى نفس الوقت ، وأن يجرى الجانبان مفاوضات تحت رعاية مناسبة بهدف أقرار سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط " .

تمت الموافقة على القرار يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩٧٣ .

القرار ٣٢٣٦ :

" الجمعية العامة بعد أن درست المسألة الفلسطينية واستمعت إلى إعلان منظمة التحرير الفلسطينية ممثل الشعب الفلسطينى ، وإذ استمعت لاعلانات أخرى قبلت أثناء نظر القضية ، وإذ تعرب عن قلقها بسبب عدم الوصول إلى أي حل للقضية الفلسطينية وادراكا منها بأن هذه المشكلة ما تزال تهدد السلام والأمن الدوليين ، واعترافا منها بأن الشعب الفلسطينى لابد أن يتمتع بحق تقرير المصير طبقا لميثاق الأمم المتحدة .... "

" تؤكد من جديد على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطينى فى فلسطين " وتتضمن :

أ ــ حق تقرير المصير دون تدخل خارجي .

ب ــ حق الاستقلال والسيادة والوطنية .

" وكذلك تؤكد الحق الثابت للفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم ومتاعهم التى ابعدوا عنها وتطالب بعودتهم " .

" وتؤكد أن الاحترام الكامل وتحقيق هذه الحقوق الثابتة للشعب الفلسطينى ضروريان لتسوية المشكلة الفلسطينية " .

" وتعترف بأن الشعب الفلسطينى هو أحد الأطراف الرئيسية لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط " .

" وتعترف كذلك بحق الشعب الفلسطينى فى العمل على فرض احترام حقوقه الخاصة

بجميع الوسائل المتفقة مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة " .

" تناشد جميع الدول والمنظمات الدولية معاونة الشعب الفلسطيني في صراعه لتحقيق التوصل إلى حقوقه بما يطابق الميثاق " .

" تدعو الأمين العام لأجراء أتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل المسائل التي تخص القضية الفلسطينية " .

الفصل الثالث

السلام الصعب ...
.. أربعة سيناريوهات

انتهت حرب تحرير الكويت ولم تنته بعد حقبة الأزمات فى الشرق الأوسط .. وربما كانت النتيجة الرئيسية لحرب الخليج هى أنها طرحت القضية الفلسطينية كقضية شعب بلا أرض .. بل وطن .. بغض النظر عن خسارة منظمة التحرير الفلسطينية فى رهانها الفاشل مع العراق وفى ربطها المجوج بين حل القضية وغزو الكويت .

والآن بعد أن خلعت المنظمة أردية الحرب ورفعت شعار " سوف نعود " مرة أخرى وهو شعار المهزوم ، ما مصير القضية ؟

أن بوادر الأمل تلوح فى الأفق ، ويبدو أن ثمة أصرار أمريكى على حل هذه المعضلة التى تتعلق فوق حبالها مصائر كثيرة ، منها مصير الرئيس الأمريكى نفسه فى انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة ، ومصير حكومة شامير المتطرفة ، ومصير قيادات منظمة التحرير الفلسطينية التقليدية .

موقف عرفات :

ما يزال الرئيس عرفات فى مكمنه فى تونس يرفع شعار الخاسر ويتحول إلى رمز للمأساة الفلسطينية : مأساة الخيارات الخاطئة والفرص الضائعة .

مأساة شعب يتألف من ٥ مليون نسمة يعيش منذ ٤٠ سنه يبحث بلا طائل عن حلم إقامة دولة ، ولكن بالخيارات غير المدروسة وبالموت والحرائق والادعاءات التى تفند الأفعال صدقها ، وبالجهاد الشريف والانتفاضة الباسلة والإرادة النبيلة ، أى بالتناقضات التى لا تستطيع أن تصل إلى طريق أو إلى هدف .

وكما يقولون عادة فى مثل هذه المواقف فأن شخصية عرفات " انحرقت " خلال أزمة الخليج ، ويبدو أنه كان يهدف إلى ذلك . فالرجل طوال الأزمة لم يترك سبيلا إلى " تلغيم " نفسه ومنظمته وقضيته إلا وسلكها . ومن بين رماد الحريق يحاول جاهدا الآن أن يجد لنفسة مكانا على مائدة مفاوضات متعسرة الولادة معتمدا على أوراق قديمة ظل يلعبها كثيرا ، أوراق النسيان

وأوراق التفسير غير الواضح للمواقف والأفعال والأقوال .

يصرخ عرفات لكل من يقابله "أولب ، أويل " أى " المنظمة ، النفط " أى مادام يوجد نفط فى المنطقة ، وما دام هذا النفط يمثل مصالح غربية ، فأن هناك " منظمة " تذكر الغرب بأن مصالحها مهددة إلا إذا قامت فلسطين دولة .

المحامى صدام :

فى ٢ أغسطس من العام الماضى وعندما تحركت الحشود العراقية لغزو الكويت أكتشف الفلسطينيون فجأة محاميا لهم فى شخص صدام حسين ، واليوم يستطيعون ببساطة أن يستنتجوا أن محاميهم الشاطر خدعه وأنه مجرد محامى قضايا خاسرة . وعشية هذا الغزو كانت قيادات المنظمة فى وضع سياسى صعب ، فالهجوم غير المبرر الذى شنه الفلسطينيون على الشواطئ الإسرائيلية تسبب فى قطع المحادثات التى بدأت بين أمريكا والمنظمة فى تونس ، وأموال الدعم العربى كانت بيروقراطية المنظمة الضخمة تبتلعها أولا بأول ، والانتفاضة ـ خاصة فى قطاع غزة ـ تحت سيطرة منظمة " حماس " الدينية ، وتكاد السكاكين تحل محل الحجارة فى أنشطة الانتفاضة ، ومعسكرات اللاجئين فى الضفة ولبنان تغلى وجاء الغزو العراقى للكويت لكى تستبدل صور عرفات فى الأراضى المحتلة بصور صدام حسين . وهكذا وجدت قيادات المنظمة نفسها مضطرة لخيار الوقوف مع الحرب وهو الخيار الخاطئ الذى لن تستطيع جهود عرفات الدبلوماسية والسياسية أن تمحوه اعتمادا على قصور الذاكرة الدولية ، مهما قدم من تنازلات وخطط جديدة ترفضها إسرائيل .

أخطاء عرفات :

والخيار الخاطئ لابد أن يولد أخطاء كثيرة ، فما هى أخطاء عرفات ؟

تبدأ سلسلة الأخطاء يوم ١٣ يناير الماضى وهو اليوم الذى صادف أخر محادثات تمت بين صدام حسين وبيرير دى كويار الأمين العام للأمم المتحدة ، ولم يتنازل صدام فيها عن أي شيء واختار الحرب ، التى كانت أمريكا تريدها أيضا فى ذلك الوقت .

لكن عرفات فى ذات المساء دعا إلى مؤتمر صحفى عاجل فى مقر سفير فلسطين فى بغداد قال فيه أن الباب لا يزال مفتوحا أمام السلام ولن تقع الحرب ، وأوضح تعلقه بصورة صدام

الشائنة كمدافع عن القضية الفلسطينية ، ولم يكن يعرف أن صدام نفسه خلال اجتماعه الذى دام ساعتين مع دى كويار لم ينطق بأى حرف عن القضية الفلسطينية ، ولم يطلب أى شىء للفلسطينيين . كان معتمداً أن صدام مؤمن بالربط بين الأزمة وقضية فلسطين ، ولم يقنعه مقتل الرجل الثانى أبو أياد بعد ساعات من تصريحاته بأنه لا يصدق هذا الربط .

وعندما بدأت الحرب بعدها بثلاثة أيام دعت المنظمة العرب والمسلمين للتصدى للعدوان الأمريكى والأوروبى والصهيونى ضد بلد شقيق ، وتوقع بسام أبو شريف مستشار عرفات أن تطول الحرب ولكن لا الشعوب العربية قامت وثارت ضد العدون المزعوم ، ولا الحرب طالت .

وفى ١٨ يناير فرح الفلسطينيون فى الأردن وفى الأراضى المحتلة التى حظر فيها التجول لأول صاروخ سكود يضرب إسرائيل ، وتوالت التصريحات الفلسطينية بأن النصر للعرب وبأن الله يقف مع العرب ودعوا صدام لأن يستخدم الأسلحة الكيمياوية ضد إسرائيل ، وقال عرفات أن صواريخ سكود تفضح البالون الإسرائيلى وأننا نعيش فى أيام مجيدة تشهد ملحمة بطولة الشعب العراقى تحت قيادة " شقيقه "صدام ، وتوقع أن تستمر الحرب ٣٠ شهرا وتذكر أنه بقى تحت الحصار أمام نيران مشابهة عام ١٩٨٢ فى بيروت لمدة ٣ شهور فى مساحة ٩ كيلو متر مربع ، بل أن عرفات أكد أنه سوف يصلى ذات يوم قريب مع شقيقه فى المسجد الأقصى ، وأن استخدام الجيش الأمريكى للنابالم يعطى لجيش العراق الحق فى استخدام الأسلحة الكيماوية .

موجات متتالية من الهجوم الخطابى المكثف قابلته إسرائيل فى أول رد فعل لها بتشديد الطوارىء وحظر التجول فى الأراضى المحتلة ومذبحة القدس ، وتصريح لأسحق شامير يعلن فيه أن مواقف المنظمة قد تغيرت بما يلغى ما سبقت أن اعلنته فى اجتماعات المجلس الوطنى فى الجزائر عن التعايش بين دولتين إسرائيلية وفلسطينية على أرض فلسطين . واعلن دافيد ليفى وزير خارجية إسرائيل أن " عرفات استبعد نفسه بنفسه عن أى طاولة مفاوضات فى المستقبل " ، واستطاع الوزير الجديد ريحفام زيفي رئيس المجموعة اليمينية المتطرفة مولدت (الوطن) أن يعلن أن " شعبين لا يستطيعان اقتسام نفس الأرض وإلا استمر نزيف الدم ولابد من التقسيم " .

حتى اليسار الإسرائيلى غير رأيه فى عرفات ، فهناك رئيس حركة حقوق المواطنين ديدى زوكر يقول أنه لا يمكن استبعاد منظمة التحرير فى المستقبل كمفاوض ، ولكن المشكلة فيمن

يقود المنظمة ، وتوقع أن يكون لسكان الأراضى المحتلة وزن أكبر فى إختيار بديل لقيادات المنظمة التقليدية .

ولم يكن كل الفلسطينيين وراء عرفات فى مساندته لصدام ، فعمدة بيت لحم " *الياس فريج* " يقول صراحة : *القول بأن كل فلسطينى مع صدام قول خاطئ* فالفلسطينيون كما يقول – غاضبون من ازدواج المعاملة من جانب أمريكا تجاه العراق وتجاه إسرائيل ، يرون أن كل احتلال هو عمل شرعى وعن المنظمة قال فريج " أنها لم تضيع أى فرصة للاستمرار فى مسلسل أضاعة الفرص " ، وأردف بأن الفلسطينيين لسبب قرارات قادتهم هم أول ضحايا حرب الخليج .

أما كشف الخسائر فهو طويل : حظر تجول أقسى وأطول ، صادرات الخضروات والزيت توقفت ، سرقة ٤ مليارات دولار فلسطينية كانت مودعة فى بنوك الكويت التى نهبها العراقيون ، ٦٠ مليون دولار مساعدة دول الخليج سنويا أو ٢٥٠ مليون دولار قررتها الأوبك ، تحويلات ٧٠٠ ألف فلسطينى كانوا يعملون فى الكويت والخليج تبلغ ١٥ مليار دولار . رغم أن هذا لم يمثل مشكلة للمنظمة التى تستثمر ١٨ مليار دولار فى البنوك الأوروبية والأمريكية ، وانما جاء ضربة قاسية لسكان الأراضى المحتلة .

اكتشاف الحقيقة :

بدأ على قادة المنظمة أنهم اكتشفوا الحقيقة عشية الحرب البرية ، فمشروع السلام الذى بحثه طارق عزيز فى موسكو لم يذكر شيئا عن فلسطين كشرط لإنهاء الحرب ، وفى خطاب *الرئيس العراقى* فجر يوم *الهزيمة* اقفل باب المدفن على علاقة الربط بين الأزمة والقضية حينما قال أن القضية الفلسطينية سيحلها شعبها فيما بعد .

وسواء اكتشف *القادة* الفلسطينيون الحقيقية متأخرين ، أو كانوا يعرفونها من قبل وتواطئوا عليها فأن الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة عبر عن حزنه للهزيمة وقال أن كل من فى *الأرض* خان *الحقيقة* ، بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن مكمنه فى تونس بعد الهزيمة تحول عرفات إلى حماية دوره الدبلوماسى بعد خلع ملابس الحرب ، فأصدر توجيهاته لتكوين وفد فلسطينى يشارك فى محادثات بيكر يتألف من

١٠ شخصيات على رأسهم فيصل الحسينى رئيس مركز الدرسات العربية بالقدس الشرقية والذى يبدو أنه سيحل محل القيادات التقليدية للمنظمة .

وما بين الخسارة والعودة إلى المسرح الدولى فأن الخاسر الوحيد هو الشعب الفلسطينى الذى سيجد نفسه مضطرا فى لعبة عرفات الدبلوماسية الجديدة لقبول مزيد من التنازلات .

وقبل مناقشة مثل هذه التنازلات نحاول أولا أن نستعرض بعض محاولات حل المشكلة الفلسطينية التى سبقت الغزو العراقى للكويت ، من خلال جهود دولية مكثفة شاركت فيها الولايات المتحدة ومصر ومنظمة التحرير نفسها التى كانت تجرى حوارا مع الإدارة الأمريكية أجهضته كما سبق وشرحنا أحدى فصائل المقاومة الفلسطينية .

مبادرة مبارك :

ومن هذه الجهود مبادرة لحل القضية ، وهى المبادرة التى أعلنها الرئيس المصرى عام ١٩٨٨ بعد أن استقر الأمر على أن الإطار الثانى بكامب دافيد والخاص بالفلسطينيين لم يعد صالحا كأساس للتسوية، وأن الأساس الجديد الذى ينبغى على إسرائيل أن تقبله هو عقد المؤتمر الدولى للسلام ، ثم عرضت مصر استضافة لقاء فلسطينى إسرائيلى يتم على أرضها يكون بمثابة مؤتمر أول للسلام يسمح بتبادل الأراء ويتيح لأول مرة لقاء فلسطينيا ـ إسرائيليا رسميا تحت رعاية الدول الكبرى ، وكان مقررا أن يحضره ممثلون عن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وأن يضم الوفد الفلسطينى فى هذا اللقاء ممثلين عن الضفة الغربية وغزة ويكون أثنان من الوفد من المبعدين عن الأراضى المحتلة ، وفى هذا الإطار جاءت المبادرة المصرية مكونة من عشر نقاط رحبت بها الولايات المتحدة واستطاعت أن تقنع وزير الدفاع الإسرائيلى أنذاك أسحاق رابين بها وجعلته يعلن تأييده لها فى أحدى زياراته لواشنطن مما اعتبرته إسرائيل عملية " غسل مخ " لرابين، والنقاط العشر التى احتوتها مبادرة مبارك تدور حول ما يلى :

١ ـ ضرورة اشتراك كل مواطنى الضفة الغربية بما فى ذلك مواطنى القدس الشرقية فى الانتخابات سواء فى التصويت أو فى حق الترشيح ما لم يكن مدانا فى جرائم .

٢ ـ حرية التحرك والتعبئة السياسية قبل وأثناء الانتخابات ـ (حرية الدعاية الإنتخابية) .

٣ ـ تعهد الحكومة الإسرائلية مسبقا بقبول نتائج الانتخابات .

٥ ـ تعهد إسرائيل بأن تكون الانتخابات جزء من الجهود المبذولة التى ستؤدى ليس فقط إلى مرحلة إنتقالية مؤقته ، ولكن أيضا إلى حل نهائى ، وأن كل الجهود المبذولة منذ البداية وحتى النهاية يجب أن تعتمد على أسس الحل الموجودة والتى تتفق ووجهة النظر الأمريكية وتتمثل فى قراري مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وهى القرارات التى تأخذ بمبدأ الأرض مقابل السلام وحماية أمن إسرائيل ودول المنطقة والحقوق السياسية للفلسطينيين .

٦ ـ انسحاب الجيش الإسرائيلى خلال عملية الانتخابات لمسافة كيلو متر واحد على الأقل خارج نطاق مواقع الإقتراع .

٧ ـ حظر دخول الإسرائليين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين يوم الانتخابات مع السماح فقط بدخول العاملين فى هذه المناطق وسكان المستوطنات .

٨ ـ يجب ألا تمتد فترة الأعداد للانتخابات أكثر من شهرين ، وهذه الاعدادات ينبغى أن يتم إنجازها بواسطة لجنة فلسطينية إسرائلية مشتركة من الممكن أن تشارك مصر وأمريكا فى تشكيلها .

٩ ـ أن تضمن الولايات المتحدة النقاط السابقة كلها بواسطة أعلان مسبق من جانب الحكومة الإسرائلية .

١٠ ـ وقف بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة .

ونتيجة لقبول أسحاق رابين الذى كان يشارك شامير فى حكومة إسرائيل خرج المعراخ من الحكم واستقل شامير والليكود بالحكومة بمشاركة أحزاب يمينية صغيرة أكثر تشددا من شامير وحزبه ، وهكذا رفضت الحكومة الإسرائلية المبادرة المصرية وطرح شامير مبادرة من جانبه اشترطت لتنفيذ المبادرة المصرية وقف الانتفاضة (التى سمتها المبادرة الإسرائلية بأعمال الأرهاب) واستمرار أعمال الاستيطان فى الأراضى المحتلة ، وعدم إقامة الدولة الفلسطينية وعدم اشتراك مواطنى القدس الشرقية فى الانتخابات .

المبادرة الأمريكية :

أما ثالث هذه المبادرات وأحدثها فهى مبادرة الرئيس بوش التى أخذ وزير خارجيته چيمس بيكر على عاتقه العمل على نجاحها .

ورغم أن هذه المبادرة لم تعلن بعد جميع تفاصيلها إلا أن المبادى الأساسية لمبادرة بوش

والتى وافق عليها الاتحاد السوفيتى تقوم على عدم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة وعدم توسع دولة بالقوة على حساب دول أخرى وعدم تهديد الحدود الدولية المعترف بها بموجب أية ذريعة أو ادعاء وعدم المساس بسيادة الدول وأنتهاك سلامتها الإقليمية وعدم أنكار حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم .

ولدينا من الأسباب ما يقوى من اعتقادنا بأن الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على تسوية مشكلة الشرق الأوسط وبالتالى المساهمة فى حل القضية الفلسطينية بعد أن هدأت طبول الحرب فى الخليج ، وكأن من أبرز نتائج أزمة الخليج على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط ما يلى :

١ــ ثمة توازن بين العلاقات الأمريكية ــ الإسرائيلية والأمريكية ــ العربية . فقد شهدت المنطقة لأول مرة تحالف دولى قوى ضم معظم الدول العربية مع أمريكا ، واستبعد إسرائيل . والعامل المؤثر فى هذا التحالف على قضية الشرق الأوسط هو مشاركة سوريا التى كانت أمريكا تعتبرها من قبل من العناصر المثيرة للاضطراب فى المنطقة وكانت تدينها بسبب مساندتها للعمليات الإرهابية .

٢ــ أثبت التحالف العربى الأمريكى بعد المصالح الأمريكية الإستراتيجية عن التعاون الإستراتيجي مع إسرائيل ، بل بدت إسرائيل نفسها قوة مرهقة للتحالف بسبب تهديدها بتفويض هذا التحالف فى حالة ردها على هجمات العرق الصاروخية . ورغم أن إسرائيل لم ترد على العراق إلا أنها قبضت ثمن ذلك من دعم وحماية أمريكة ، ولم تستجيب بالسهولة المتصورة لحليف إستراتيجي .

٣ ــ ضعف دور إسرائيل كمتصدى للنفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط ومنع موسكو من وضع يدها على موارد البترول فى المنطقة ، وذلك أن ضعف تأثير النفوذ السوفيتى ضعفت مساندته لحلفاء الاتحاد السوفيتى فى المنطقة مثل سوريا واليمن الجنوبى ، وليس من المتوقع أن يعود التأثير السوفيتى لسابق عهده خاصة بعد الأحداث الأخيرة التى حاولت الإطاحة بمهندس البيرستيرويكا ميخائيل جورباتشوف وفشل المحافظون فى الوصول إلى الحكم وفوت من شأن الراديكاليين فالنفوذ المفقود لا يمكن استرجاعه بسهوله خاصة مع التغيرات الهيكلية التى حدثت فى العالم ، وهى تغيرات عميقة بدرجة كافية .

هذه النتائج هى ــ فى تصورنا ــ أسباب تدعو الإدارة الأمريكية إلى مزيد من التقارب

الصادق ـ أى الذى تعززه المصداقية ـ مع الدول العربية ، ودعم الاستقرار فى المنطقة ، لان الأستقرار فى صالحها مادامت لم تعد هناك قوى تخالفها أو تهدد مصالحها .

فالدور العسكرى والسياسى الذى كان من الممكن أن تلعبه إسرائيل فى ظل الحرب الباردة أصبحت مصر وسوريا والسعودية وغيرها من الدول العربية تستطيع أن تلعبه بكفاءة أكثر وتكاليف أقل ونتائج أكثر وثوقيه ، ومن ثم يصبح دعم إسرائيل بلا حدود تكاليف من الأفضل إلا تتحملها الولايات المتحدة وحلفائها . بل أن حل المشكلة سوف يتيح ضم جميع الدول ـ بما فيها إسرائيل ـ فى منظومة تحالف واحدة مع الولايات المتحدة .

كما أن مصداقية الولايات المتحدة سوف تتعرض لامتحان حاسم عند تحديدها للأسلوب الذى ستنتهجه حيال القضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط .

صحيح أن الولايات المتحدة والجماعة الدولية المحتشدة ورائها قد أنكرت الربط بين انسحاب القوات العراقية من الكويت بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، إلا أن هذا الربط اليوم وبعد انتهاء أزمة الخليج وخروج القوات العراقية من الكويت أصبح ممكنا لأنه لم يعد يعنى الاستجابة لشروط المعتدى والوقوع تحت ضغطه ، وانما أصبح يعنى ربطا عقلانيا وأخلاقيا بين نفس المبادى التى ينبغى أن تنطبق على جميع الحالات دون استثناءات .

وحالة العراق وإسرائيل متشابهتان من حيث أنهما احتلالان عسكريان ، والمبدأ القانونى الذى يستند عليه كلا من القرارين ٢٤٢ ، والصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ والقرار ٦٦٠ الصادر فى ١٢ أغسطس عام ١٩٩٠ هو مبدأ عدم الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة .

والقراران يطالبان المعتدى بالانسحاب من الأراضى المحتلة وتنفيذ أحدهما باستخدام القوة الجبرية، مع غض الطرف كلية والتساهل الشديد فى عدم تنفيذ القرار الأخر يضع المصداقية الدولية والولايات المتحدة والنظام العالمى الجديد فى أزمة شديدة .

كل هذه الأسباب تدعو أمريكا إلى الإسراع جديا فى نزع الفتيل المتفجر الباقى فى المنطقة وإيجاد تسويه عادله وشامله ودائمة للمشكلة الفلسطينية التى هى أصل وجوهر النزاع العربى الإسرائيلى .

الموقف الإسرائيلى :

لفهم الموقف الإسرائيلى اليوم من محاولات إيجاد تسوية للمشكلة الفلسطينية ينبغى أن تطرح أولا وبطريقة دياكرونية التصور الإسرائيلى لوجود إسرائيل نفسها ، ومن ثم لحقوق الفلسطينيين ، رغم الإدراك الدولى العام للحقوق الفلسطينية على أنها حق تقرير المصير وهو ادراك يعترف بواقع الحال دون أن يعرج على أصل مكونات هذه الحقوق .

والاستعراض التاريخى (الدياكرونى) للمشكلة يبدأ فى حقبة تاريخية مبكرة ، فالحقيقة هى أن أرض فلسطين ظلت دائما منطقة ساخنة بالصراعات الأثنية والدينية ، كما أنها كانت هدفا للجيوش الغازية .

والسكان الأصليون لفلسطين هم الكنعانيون الذين سكنوا هذه الأرض قبل ثلاثة الآف عام من ميلاد المسيح ، وهو التاريخ الذى صاحب أول غزو لفلسطين من العموريين ، ثم جاء بعد ذلك بألف عام العبرانيون أو الذين عبروا النهر (نهر الفرات) ، ووصل الغزاه العسيريون عام ٧٢١ قبل الميلاد والبابليون بقيادة نبوخذ نصر الذى غزا القدس وهدمها وطرد سكانها عام ٥٨٦ ، ثم المقدونيون بقيادة الأسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ، ثم الرومان الذين غزوها منذ عام ٦٣ قبل الميلاد ثم هدموا معبد سليمان بعد الميلاد .

ومن كل هؤلاء الغزاة تكون التركيب الأثنى لفلسطين ، وكان السكان يتحدثون لغة واحدة هى الأرامية وتحولوا إلى العربية منذ عام ٦٣٧ بعد الميلاد ، وظلت القدس مدينة عربية فى أيدى المسلمين منذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩٦٧ باستثناء فترات الغزو الصليبى .

كان الفلسطينيون يتعرضون للاضطهاد مثل جميع الشعوب التى عانت من غزو خارجى ، ولم يكن الاضطهاد يقتصر على العبرانيين فقط ، وانما على جميع السكان .

ومنذ أن أصبحت فلسطين إسلامية (عام ٦٣٧) ظل الفلسطينيون والأقلية اليهود (العبرانية) تعيش فى انسجام تام .

وفى نهاية القرن التاسع عشر بدأت تنتشر فى أوروبا منشورات منظمى الحركة الصهيونية (أمثال يهود لايب وتيودور هرتزل) الذى نشر عام ١٨٩٦ كتابه " الدولة اليهودية " ولكن لم يكن أحد يتصور أن الأمرسينتهى بمثل هذه المأساة التى تشهدها أرض فلسطين حاليا .

فى عام ١٨٨٠ كان يعيش فى فلسطين نصف مليون نسمه ، لم يكن بينهم سوى ٢٤ ألف يهودى فقط يتركز معظمهم فى القدس القديمة وبعض الأحياء الحديثة ، وكانوا يعملون بالحرف

مثل الخياطة والحلاقة وما إلى ذلك وكانو قوما فقراء يعتمدون على المعونة المالية الضعيفة التى يرسلها لهم اقرباءهم فى أوروبا ، ولم يكن أحد منهم يفكر حتى ولو من بعيد فى أن يجعل من فلسطين وطنا قوميا لليهود .

أما العرب فكانوا يشتغلون بالزراعة ويرتبطون بالأرض ، وكانوا يصدرون الحبوب والشعير وعسل يافا وزيت نابلس ويقومون بصناعات الصابون والزجاج والفخار والخزف وغير ذلك ، وذلك خدمة للحجاج المسلمين (المسجد الأقصى) والمسيحين الذين يفدون إلى بيت لحم والقدس، وكذلك اليهود .

وكانت الأنشطة الإقتصادية فى فلسطين تحت السلطة العثمانية ، مثل جميع ولايات الدولة العثمانية ، بما يحمله ذلك من عسف وجور ، ورغم ذلك لم تكن فلسطين ذلك الشريط الصحراوى المهجور الذى كان مفكرو الصهيونية يمثلونه فى كافة الاختيارات ، ما بين الديمقراطية والإشتراكية والإنسانية والشوفينية . حتى فلسطين نفسها لم تطرح كوطن قومى لليهود بإجماع المنظرين الصهاينة ، فقد كانت هناك اقترحات بأن يكون هذا الوطن فى أوغندة أو الأرجنتين . لكن اضطرار اليهود للهجرة من روسيا القيصرية ووجود مستوطنات جاهزة لاستقبال المهاجرين بالقرب من يافا بناها البارون ادموند دى روتشيلد ، رشحت فلسطين لكى تكون هذا الوطن وكانت هى بداية الهجرة اليهودية لفلسطين ، وبداية فعلية للمشكلة الفلسطينية ، وتلته موجة تالية فيما بين عامى ١٩٠٣ و ١٩٠٥ حين اندلعت الحرب العالمية كانت هناك ٥١ مستوطنة زراعية يسكنها ٨٥ ألف يهودى من بين ٧٠٠ ألف هم عدد السكان فى فلسطين .

وكان لهذا النمو البطئ المضطرد أثر فى أثارة الفلسطينيين العرب والباب العالى (الرجل المريض ـ تركيا) الذى كانت أوروبا تقتسم أرثه . وكانت الدول العربية فى صدام مع باريس ولندن اللتان كانتا تقتسمان العالم فى إطار مشروعهما الإستثماري الضخم . أما الباب العالى فقد أصدر بعض الفرمانات لتحجيم حركة الهجرة إلى فلسطين ، ولكنها لم تؤت أكلها ، بينما شرع الفلسطينيون فى مقاومة حركة الهجرة بالسلاح وبمقاطعة المستوطانات ، لكن الأمور اتخذت منحنى أخر فى أوروبا بعد أن تآمرت إنجلترا وفرنسا على الدول العربية التى تحالفت معها فى الحرب الأولى ضد تركيا ، ووقعت البلدان معاهدة سايكس بيكو فى مايو عام ١٩١٦ التى قسمت الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ .

وفى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ حصل رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى والتر ليونيل روتشيلد

من وزير الخارجية البريطاني بلفور على تصريح مكتوب يلزم الحكومة البريطانية بتسهيل أنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي ٥ مايو ١٩٢٠ قرر مؤتمر سان ريمو فرض الحماية البريطانية على فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت والأحداث تأخذ إيقاعا شديد التسارع فقد شكلت المستعمرات أو المستوطنات جهازا سياسيا هو الوكالة اليهودية ، وقوة عسكرية أسمها " هاجانا " بينما عين الفلسطينيون لجنة عربية عليا برئاسة أمين الحسيني مفتي القدس وقرروا المقاومة .

ومع تصاعد نفوذ النازية في ألمانيا نشأت حركات هجرة ضخمة في الثلاثينيات (٣٠ ألف عام ١٩٣٣ و ٤٢ ألف عام ١٩٣٤ و ٦٢ ألف عام ١٩٣٥) مما حدا بالعرب إلى الانفجار بثورة قوية مسلحة عام ١٩٣٦ . لكن الموقف تعقد للغاية مع نزوح نصف مليون يهودي في بداية الحرب العالمية الثانية ، ولم تعد أرض فلسطين تحتمل كل هؤلاء البشر ، وهكذا جاء قرار التقسيم الذي قدمته بريطانيا وحصل على غالبية أصوات الأمم المتحدة وقضى بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود مع خلق منطقة دولية في القدس ، وهو القرار الذي يحمل رقم ١٨١ ، والذي رفضه المتطرفون اليهود ، وكانت بداية لمشكلة الشرق الأوسط التي لم تجد حلا حتى اليوم .

فقد ساد العنف وضاعت الثقة واستقرت العدواة في الضمائر وخاصة بعد أن اعلن اليهود في ١٤ مايو ١٩٤٨ وفي ظل جو مشحون بالتوتر قيام دولة إسرائيل .

ومنذ تلك اللحظة خاض العرب أربعة حروب ضد إسرائيل ، واحتلت القوات الإسرائلية فلسطين كلها والجولان السورية وجنوب لبنان . وأدى فشل الدبلوماسية في حل المشكلة إلى فتح الباب على مصراعيه أمام العنف والعنف المضاد ، وأمام التشرد والشتات .

مجمل هذا التاريخ الوجيز للمشكلة الفلسطينية يقول أن اليهود كان لهم مشروع نجحوا في تنفيذه ، وهو إقامة وطن لهم على أرض فلسطين ، وأصبح لهم اليوم دولة منظمة بها مؤسسات حكم مستقرة وعلاقات دولية وجيش نظامي متقدم ، وجاء ذلك على جثة شعب فلسطين الذي أنمحت دولته ولم تعد لها مؤسسات ولا جيش ولا علاقات دولية مستقرة ، بل بادل اليهود موقعهم فبينما ينزع اليهود إلى القضاء على الدياسبورا أو الشتات الذي عاشوا فيه على مر التاريخ ، يعيش الفلسطينيون شتاتهم . فعدد الفلسطينيين يبلغ ٥ مليون نسمة منهم ٨٠٠ ألف يعيشون في إسرائيل ويحملون جنسيتها (جنسية درجة ثانية) ومليون و ٨٠٠ ألف تحت الاحتلال في قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن ، ومليون و ٧٠٠ ألف في الأردن والباقي موزعون على

لبنان وسوريا ومصر وكل ركن من العالم . ورغم أنهم استطاعو النوبان فى عديد من البلاد واحتلوا مناصب يحسدون عليها، مفكرين وأطباء ومهندسين ، لكن ٣ مليون فلسطينى ما يزالوا يعيشون فى مخيمات اللاجئين فى ظروف معيشية غير أنسانية بالمرة ، بل ومتعرضون لنيران الجميع (الأردن عام ١٩٧٠ وبيروت عام ١٩٨٥ والكويت ١٩٩١) إلى جانب النيران الإسرائلية الدائمة . بل تعرضت النساء والأطفال والشيوخ لمذابح رهيبة فى تل الزعتر وصابرا وشاتيلا وغيرها . لقد أصبح الفلسطينيون اليوم شعب بلا أرض ... وبلا أمل أيضا . هذه هى القضية بإيجاز : إسرائيل حققت مشروعاتها وتبحث عن أمنها القومى وفلسطين أصبحت شعبا بلا أرض ولا أمل . أما حل المشكلة فيعتمد على المدى الذى يتنازل عنده من الطرفين من حقوق للآخر ، ولا حل إذا أصر الطرفان على الحصول على كل شىء . على أن طرح المسألة بهذه البساطة يخل بلا شك بمعطيات الموقف الحالى واحتمالات حل المشكلة بناء على ذلك ، لكن هذا التقييم البسيط يصلح كمبدأ عام تتم فى إطاره جميع الإمكانيات المطروحة حاضرا ومستقبلا لحل القضية .

احتمالات الحل

قبل البدء بتصور بعض السيناريوهات القابلة للتحقق لحل القضية الفلسطينية لابد أولا من الإجابة على عدة تساؤلات تيسر من - وجهة نظرنا - التكوين المنطقى لمثل هذه السيناريوهات وقابلية تحقيقها على المستوى الواقعى .

وهذه الأسئلة سبق أن أجاب عليها عديد من خبراء الشئون الفلسطينية وشئون الشرق الأوسط فى عدد من دول العالم من بينهم فيصل الحسينى حفيد مفتى القدس وأبن أحد أبطال ٤٨ والمرشح المريح لأمريكا وإسرائيل كممثل للفلسطينيين فى أي مفاوضات سلام ومدير مركز الدرسات العربية بالقدس . وشارك فى الإجابة أيضا بروكو اتيان مدير مركز دراسات العالم العربى فى فرنسا وغاده كرمى محللة بحوث الشرق الأوسط ورشيد خالدى مدير معهد الدرسات الشرق أوسطية بشيكاغو وألياس سانبار رئيس تحرير مجلة الدرسات الفلسطينية التى تصدر من باريس وواشنطن ...

والسؤال الأول هو :

[١] هل للفلسطينين حق فى أقامة دولة مستقلة ؟

عن هذا السؤال أجمع الخبراء على الإجابة بالإيجاب وهو حق أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بالقرار ١٨١ الذى وافقت علية ٣٣ دولة من بينها أمريكا والاتحاد السوڤيتى وهو أيضا الحق الذى يمثل محور مشكلة الشرق الأوسط التى تعد من أخطر المشاكل السياسية فى القرن العشرين .

ويقر هذا القرار الدولى تقسيم فلسطين إلى دولتين أحدهما عربية والأخرى عبرية مع تكوين منطقة دولية تخصص للأماكن المقدسة .

ويتضمن القرار قيام مفاوضات بين كل الأطراف حتى تصل إلى الإتفاق النهائى ، لكن أحدا لم يقبل القرار . فالعرب رفضوه لأنهم لم يريدوا رؤية قيام وتكوين كيان صهيونى على أراضيهم ، واليهود رفضوه استجابة لحلمهم بتكوين إسرائيل الكبرى ومخافة من أخطار التعايش والذوبان فى المجتمع العربى . واليوم وبعد تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى وضياع

كثير من الآمال والفرص يعود القرار ليصبح صالحا كقاعدة لأى مفاوضات سلام .

السؤال الثانى هو :

[٢] لأي نوع من " الدولة " يطمع الفلسطينيون ؟

يعتبر الخبراء هذا السؤال أساسيا . فالعرب وإسرائيل خاضوا منذ عام ١٩٤٨ مواجهات أربع دامية وواجها خلالها خبرات عدائية صعبة .كانت نتيجة الحروب التى انتصرت فيها إسرائيل ـ فيما عدا حرب أكتوبر ـ ضم أراضى جديدة وأجبار آلاف الفلسطينيين على الهجرة . وبعد نحو ربع قرن لم يحدث فيها أى تقدم فى القضية . وربما حدث كثير من التدهور ـ وبعد عشرات السنوات من التصريحات الدائمة لمنظمة التحرير أن هدفها هو تدمير إسرائيل ، وصلت الآن إلى حل وسط وهو : الأرض مقابل السلام . وقد أظهرت إسرائيل من قبل تأكيدها لهذا المبدأ عندما أعادت سيناء مقابل معاهدة السلام مع مصر فى إتفاقيات كامب دافيد . ويستطيع الفلسطينيون أن يناقشوا إمكانية أقامة دولة فى الضفة ومنطقة حره فى قطاع غزة ، وتستطيع هذه الدولة أن تدخل فى اتحاد كونفدرالى مع الأردن التى تعتبرها إسرائيل الوطن الحقيقى للفلسطينيين .

السؤال الثالث هو :

[٣] من يناصر الفلسطينيين ومن يعاديهم ؟

تعلم الفلسطينيون ـ بخبرات قاسية ـ ألا يأمنوا حلفاءهم الطبيعين أو على الأقل من يبدو أنهم حلفاء طبيعيون وأقسى الأحداث التى مرت بالفلسطينيين جاءت من الأردن بمذبحة أيلول الأسود . كذلك وجدوا متاعب عديدة فى سوريا ومصر والعراق ولبنان . ويتهم الفلسطينيون الدول التى تستضيفهم بأنها تستغلهم ولا تعطيهم حقوقهم رغم أنهم وصلوا فى العديد من هذه الدول إلى مناصب قيادية ومهنية عالية .

على كل حال يجمع الخبراء على أن حل القضية الفلسطينية كان ومازال ـ مصدر قلق ليس للإسرائليين وحدهم وانما للعرب أيضا ـ فالعرب يخشون أن تقوم فى المنطقة دولة ديمقراطية متقدمة ، وهى منطقة لا تعرف التقدم ولا الديمقراطية وتعتبرها مبادى خطيرة .. ويكرر المحللون

فى ذلك وجهة نظر فلسطينية أن لم تكن معلنة إلا أنها كثيرة التردد فى الأوساط الفلسطينية التقليدية . أما إسرائيل فتخاف على أمنها وعلى التعايش مع جماعة ارتبطت معها دائما بعلاقات عدائية وتكونت داخلها مجموعة إرهابية (فدائية) .

السؤال الرابع هو :

[٤] هل مازالت منظمة التحرير تمثل فلسطين ؟

رغم أن حرب الخليج قد وجهت ضربة قاصمة لقيادة ياسر عرفات وعلى مدى تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطينى لسبب اقتيادها منذ اللحظة الأولى إلى جانب صدام حسين فى غزوه للكويت ، مما اعتبره العديد من الخبراء ، حتى بين الذين يناصرون منظمة التحرير ، خطأ سياسيا واستراتيجيا خطيرا يعكس أضرار كبرى للقضية الفلسطينية . وقيل أيضا أن المنظمة لم يكن أمامها خيار أخر بعد أن رأت العديد من الدول العربية تتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالى تتحالف بطريق غير مباشر مع إسرائيل ، ولكن هذا لم يمنع من أتهام القيادة الفلسطينية بقصر النظر السياسى وعدم تبنيها موقفا وسطا ربما كان صعبا ولكن لم يكن مستحيلا .

وأصبحت لعبة إسرائيل اليوم استغلال هذا الموقف وإعلانها دائما أنها لا تستطيع التحاور مع منظمة التحرير ومع ياسر عرفات . أما المعتدلون الفلسطينيون فيرون أن قياداتهم قد خانتهم ، أو على الأقل وضعت صعوبات كبرى فى طريقهم . ولكن يبدو أن هناك إجماع سواء داخل المنظمة أو خارجها على أن تغيير تمثيل الفلسطينيين بمنظمة أخرى سيكون خطأ كبير لن يستفيد منه سوى أعداء القضية .

السؤال الخامس هو :

[٥] من الذى يستطيع أن يتفاوض مع إسرائيل بأسم فلسطين ؟

ليست هناك أزمة فى إيجاد ممثلين عن الفلسطينيين ، فهناك شخصيات التقى بها بيكر فى

زيارته المتكررة لإسرائيل بخلاف فيصل الحسينى وحنان عشراوى وألياس فريج (عمدة بيت لحم) ، وهى شخصيات عرفت باستعدادها للتفاوض رغم قربها من منظمة التحرير ودعمها وتأييدها للانتفاضة الفلسطينية . ورغم رفض إسرائيل للتحاور معهم لعلاقاتهم بعرفات إلا أنه ليس هناك شك فى أن أى تفاوض يجب أن يتم معهم بأعتبارهم من فلسطينى الداخل الذين قبلت إسرائيل مبدأ التفاوض معهم ورفضت التفاوض مع فلسطينى الشتات . وتعرف هذه الشخصيات واقع التعايش مع إسرائيل بكل ما تحمله هذه المعايشات { من آلام سواء بالقمع أو الاغتيال أو القيود ، وما تحمله أيضا من أمكانات إيجابية وقد أتخذ فلسطينوا الداخل هؤلاء موقفا مستقلا سواء عن دعاة الاندماج أو المتطرفين ، وقد شكل تسللهم إلى الأراضى المحتلة مشكلة كبيرة ليس لإسرائيل وحدها وانما للتيارات الفلسطينية فى الخارج أيضا .

السؤال السادس هو :

[٦] هل إسرائيل مستعدة للتفاوض ؟

إسرائيل مستعدة للتفاوض ، بل مقتنعة بالتفاوض كسبيل للحل . هذا هو ما يقوله الخبراء حتى فى إسرائيل نفسها رغم أن إسرائيل توحى للعالم كله أنها تعرقل المفاوضات . يكفى أن نفحص أول تصريح لوزير الخارجية الإسرائيلى دافيد ليفى تعليقا على أقالة جورباتشوف قال فيه أنها تعرقل عملية السلام بسبب هذا الحدث ، وهو دليل على حرص إسرائيل على استمرار العملية رغم أنها بدت فى كثير من الأحيان تضع العراقيل فى طريقها .

التفاوض الآن هو ما تريده إسرائيل عن إقتناع وخاصة بعد حرب الخليج، فقد خرجت من هذه الحرب منتصرة رغم أنها لم تطلق طلقة رصاص واحدة ، فقد تقلص حجم الخطر الآتى لها من العراق الذى برهن أثناء الحرب أنه لا يستطيع أن يصل لقلب إسرائيل بصواريخه وكسبت خلال هذه الحرب احتراما دوليا ناشئا عن ألتزامها بعدم الرد على الهجمات العراقية ، كما أنها كانت تتمنى أحراج مصداقية منظمة التحرير التى كانت فى أقوى حالاتها قبل الحرب ، بنبذها للأرهاب وقبولها قرارات الأمم المتحدة واستعدادها للتفاوض وحصلت إسرائيل على هذا أيضا .

كذلك تريد إسرائيل التفاوض استجابة للضغوط الدولية ، واستغلالها لهذه الفرصة الموالية التى يصعب أن تتكرر فى المستقبل القريب .

وربما كان التفسير الوحيد لسلوك إسرائيل الذى يظهرها غير راغبة فى التفاوض هو أنها

تريد أن تحصل على أكبر قدر من التنازلات قبل أن تبدأ المفاوضات .

توحى الأجابات على هذه التساؤلات بإمكانية حل القضية فى المستقبل القريب ولكن تاريخ القضية الفلسطينية نفسة يضع قيودا وتحفظات كثيرة على مثل هذا التفاؤل ، فأن الحل الذى تبشر به هذه المعطيات يستلزم تنازلات كبيرة فى أصل الحقوق ، ويعطى ميزات أكبر للمعتدى والمحتل يسلبها من أصحاب الحق ، ولهذا فأن استمراره أو ديمومته ستكون محل شك .

على سبيل المثال لن يمنع مثل هذا الحل ـ دولة فلسطينية بعد مفاوضات سلام ـ من قيام حرب عربية إسرائلية خامسة ، فهناك مجموعة من الأسباب تقوى إحتمالية قيام هذه الحرب رغم أنها لا تنفى أمكانية التوصل إلى الحل الوسط ،التفاوض المرتقب .

الحرب العربية الإسرائلية الخامسة :

وتشمل أسباب قيام مثل هذه الحرب ما يلى :

١ ـ المستوطنات وارتباطها بمعدلات هجره حالية ومستقبلية عالية .

٢ ـ محدودية مصادر المياه والنزاع عليها بين العرب والإسرائليين .

٣ ـ احتمالات السبق العربى فى التوازن العسكرى .

٤ ـ رغم التأكد من فشل الإنقلاب الشيوعى فى الإتحاد السوفيتى فأن احتمال عودة الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى موازنة للولايات المتحدة يظل احتمالا قائما ، وبالتالى فأن خطر عودة الحرب الباردة والتصارع الإقليمي بين القوتين العظميين قائما ، وما يعكسه ذلك من آثار على منطقة الشرق الأوسط ومشكلتها .

وسوف نتناول فيما يلى هذه الأسباب نقطة نقطة محاولين أن نوضح علاقات هذه الأسباب بإحتمالات المستقبل فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية على نحو خاص والصراع العربى الإسرائيلى على نحو عام .

وقبل أن نخوض فى شرح هذه النقاط ربما كان من الأفضل أن نتعرض للعلاقة التى تربط بين الصراع العربى الإسرائيلى والقضية الفلسطينية .

يحلو للكثير من المراقبين ـ خاصة العرب ـ تعليق النزاع العربى الإسرائيلى على القضية الفلسطينية وحدها ، بينما ينزع بعض المتشددين إلى إعتبار القضية الفلسطينية جزء ونتيجة للصراع العربى الإسرائيلى ، بإعتبار هذا الصراع بين الأسلام والغرب المسيحى ، أو مخططا

صهيونيا يستهدف العرب والمسلمين منذ الأزل .

والحقيقة أننا لا نستطيع عزل القضية الفلسطينية عن مجمل الصراع العربى الإسرائيلى ، كما أننا لا نستطيع كذلك أن ننفى المخاوف الغربية من المد الإسلامي ، فالغرب نفسه هو الذى يؤكد وجود هذه المخاوف ويعززها ويعزز معها موقف إسرائيل ـ سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ـ للوقوف ضده تحت لافتات تقدمية وديمقراطية النظام الإسرائيلي ، ورجعية وتخلف النظم العربية .

لكننا رغم ذلك لا نستطيع تأكيد المبالغة بوجود مؤامرة تاريخية ضد العرب والمسلمين ، لأن ذلك يدخل فى إطار التهويل غير المرغوب ، وربما أصبح مدخلا لليأس من نتائج الصراع ، والأفضل من ذلك الاحتكام إلى مفردات ومعطيات الصراع الحضارى لصياغة معادلة واقعية لثوابت ومتغيرات حركة التاريخ بهدف الوصول إلى تقييم صحيح للموقف ، وربما لا يتسع المجال هنا للدخول فى هذا المشروع الذى يتطلب جهدا جماعيا دؤوبا لا مناص من أدائه ذات يوم .

ومن الثوابت فى الصراع العربى الإسرائيلى أن لإسرائيل أطماع فى المنطقة لا تقتصر على فلسطين وحدها ، وأن لها مشروعا استيطانيا يمتد ليشمل جزء كبيرا من الوطن العربى ويمس عددا كبيرا من الدول العربية بما فيها مصر وسوريا ولبنان والأردن (دول المواجهة) والعراق والسعودية والسودان ، مادامت إسرائيل تنجح فى الغالب فى تحقيق مشاريعها ، لذا يلزم عدم التهوين أيضا من مستقبل صراعها مع العرب ، والحذر من التفاؤل بوجود حل عادل وشامل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط يوفر الاستقرار للمنطقة .

المستوطنات والهجرة :

كان الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك هو أول الداعين إلى التعجيل بالمفاوضات العربية الإسرائيلية حتى لا يزيد حجم المستوطنات فى الأراضى المحتلة بما يؤدى إلى التهامها وتغيير تركيبها السكانى فى ظل خطة إسرائيلية طموحة لتوطين المهاجرين إليها من الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية .

والاستيطان يشغل أهمية كبيرة فى حكومة إسرائيل اليمينية ، وهو موضوع يتولاه "أرهابى"

صهيونى هو أرئيل شارون ، وقد استطاع أن ينجح فى ٦ شهور فيما لو أرادت حكومة تقليدية تنفيذه لاحتاجت عشر سنوات ولا شك أيضا فى أن المستوطنات والهجرة سوف تؤثر تأثيرا ملحوظا على أى مشروع السلام فى فلسطين .

ويؤكد هذا ما يقوله شارون عن نفسه وعن وزارته (وزارة البناء والمستوطنات) من أنها الخط الأول للمواجهة ، ومن أنه يقود الحرب بالفعل فى أزياء مدنية .

والحرب التى يقودها شارون هى ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة وضد التقدميين والناصريين للسلام فى إسرائيل الذين يؤيدون أعادة الجولان لسوريا والضفة والقطاع للفلسطينيين ، وهى حرب أيضا ضد الضغوط الدولية وبخاصة ضغوط الولايات المتحدة التى اشترطت للأفراج عن ومعونتها لإسرائيل عدم زيادة المستوطنات فى الأراضى المحتلة (إدارة الرئيس بوش) .

وميدان المعركة التى يخوضها شارون هى الأرض المحتلة، وسلاحه هو البلدوزرات وشاحنات الأسمنت ، وهدفه هو زرع مستوطنات إسرائلية تلتهم الأرض المحتلة وخاصة الضفة الغربية التى أعادت إليها إسرائيل أسمها اليهودى (يهودا والسامره) بحيث يصبح من المستحيل أعادتها للفلسطينيين . وهكذا وصلت أعداد المستوطنين فى الضفة إلى ٢٢٠ ألف مستوطن (١٢٠ ألف فى القدس الشرقية وحدها) .

لقد استقبلت إسرائيل خلال العامين الماضيين فقط مليون مهاجر سوفيتى ، ومن المتوقع أن تستقبل خلال عامين قادمين مليون ونصف مليون أخرين طبقا للتقديرات الإسرائلية ، وهى تقديرات يرى الدكتور عبد الوهاب المسيرى (أحد كبار المتخصصين فى الشئون الإسرائلية فى العالم) عدم دقتها نظرا لتضاربها فهى فى تارة تبدأ بـ ٤٠٠ ألف ثم تصل بعد ذلك إلى ١٥ مليون.

ويقول الدكتور المسيرى فى كتابه (هجرة اليهود السوفييت) الذى نشرته دار الهلال (كتاب الهلال ــ العدد ٤٨٠ ديسمبر ١٩٩٠) أن الخطر الصهيونى الجديد المتمثل فى هجرة اليهود السوفيت بأعداد لم يسبق لها مثيل ، وهو موضوع كتب عنه المعلقون والصحافيون والأخباريون والإعلاميون ، ويذهب معظم هؤلاء إلى القول ، بل وإلى التاكيد ، بأن هذه الهجرة ستحل مشكلة إسرائيل الإقتصادية والسكانية والأستيطانية إلى ألخ ... عن طريق حقنة بمادة بشرية تتمتع بمستوى تعليمى راق وكفاءة عالية يمكنها أن تخلق حقائق جديدة فى إسرائيل الكبرى أى داخل

فلسطين التى احتلت قبل وبعد ١٩٦٧ . وهذه المادة البشرية ستستوطن الأراضى العربية المحتلة وستزيد الكثافة البشرية اليهودية وستساهم فى التقدم العلمى والتكنولوچى لإسرائيل ، أي أنه بضربة واحدة ستحل إسرائيل مشكلاتها الإقتصادية والسكانية والأستيطانية ، ومن ثم فأن البناء السياسى فيها سيتغير لصالح اليمين وستتمكن المؤسسة الحاكمة من ضرب كل القوى التى تطالب بالسلام فى مقابل الأرض .

بل وسيمكنها أيضا ضرب كل من العنصر اليهودى الشرقى الذى بدأ يحقق مكاسب من خلال قوته العددية ، والعنصر اليهودى الدينى الذى يتمتع بنفوذ واسع لا يتناسب مع قوته العددية بسبب الموازنات السياسية . ويذهب البعض إلى أن هذه الهجرة ستؤدى إلى بعث مشروع البديل الأردنى لحل المشكلة الفلسطينية وإلى تطبيق سياسة التهجير (الترانسفير) ، وكل هذه العناصر ستؤدى فى النهاية إلى رضوخ العرب للوجود الإسرائيلى مما يعنى دعما لدورها الإستراتيجي الذى بدأ فى التآكل مؤخرا ، أى أن الهجرة هى الصيغة السحرية التى ستحل مشكلات إسرائيل .

وبعد أن يعرض الدكتور عبد الوهاب الميسرى للرؤية العربية للهجرة السوڤيتية لإسرائيل على هذا النحو يؤكد على خطورتها بإعتبار أن اليهود السوڤيت (اليهود اليديشيه) كانت ولا تزال أهم المصادر البشرية والأستيطانية والقتالية للكيان الصهيونى وهم المهيمنون على كل المؤسسات فى إسرائيل بما فى ذلك مؤسسات صنع القرار وخاصة إذا تحققت هذه الهجرة على المستوى الكمى والكيفى الذى تتداوله الصحف لأنه سيكون مجتمعا استيطانيا يقوم على تجميع المادة البشرية اليهودية وتجنيدها وتدريبها لتقوم بالقتال دفاعا عن مجموعة من الأهداف أهمها المصالح الغربية فى المنطقة . وفشل التجمع الصهيونى سيشكل ضربة فى الصميم له ولمقدرته على الاستمرار فى القتال .

لكن د ـ المسيرى يتحفظ على هذه المقولات باعتبارها لا تناسب الظاهرة الصهيونية المركبة التى تتمتع بخصوصية أنها التشكيل الإستعمارى الإستيطانى الأحلالى الوحيد الذى لا يزال فى طور التشكيل ، ويخلص إلى أن هذه الحركة تحتوى بداخلها على مقومات القوة والضعف والحياة والموت لأسباب حددها بخصوصية هذه الهجرة عن سابقاتها ، فهى تتم فى ظروف دولية خاصة (أزمة النظام الشيوعى ـ النظام الدولى الجديد) واختلاف المادة البشرية القادمة عن تلك التى قذفت بها الموجات السابقة .

ومن هذا يتضح أن الهجرة قد لا تمثل كل هذا الخطر الذى يتحدث عنه المراقبون ، ولكن رغم ذلك لا ينبغي التهوين من شأنها خاصة إذا تهيأت لها الظروف للنجاح فى تحقيق أهدافها.

وربما تنجح جهود شارون التحايلية فى استقبال اليهود السوفيت وتهيئة المكان المناسب لإقامتهم وعملهم وزرعهم فى أراضى يطلب منهم الدفاع عنها .

يكفى أن نشير إلى تصريح جيمس بيكر الذى قال فيه أنه فى كل مرة يزور فيها إسرائيل يستقبلونه ببناء مستوطنة جديدة ، وهو يشير فى ذلك إلى قدرة إسرائيل على التحايل فى أموال المعونة الأمريكية، وأقربها مبلغ ٤٠٠ مليون دولار أثناء حرب الخليج، وقع بيكر نفسه أمر صرفها للمساعدة فى توطين المهاجرين وحصل على وعد من شامير بعدم استغلال هذه الأموال فى بناء مستوطنات فى الأراضى المحتلة، ولكن شارون استطاع بإتفاق سرى مع شامير أن يبنى بهذه الأموال عشرة الآف وحدة سكنية فى الأراضي المحتلة، واعتذر عن هذا بعد أن كشفت عناصر حزب العمل فى وزارته عن اتفاقه السرى مع شامير، بأن مابناه ليس إلا بيوت متنقلة ليس لها صفة الاستقرار والدوام، ولكن الصحفيين الغربيين الذين زاروا المشروع فى الضفة وصفوا المساكن بالتفصيل فتبين أنها مبينة بطريقة المساكن سابقة التجهيز صفراء اللون ١٢.٥ × ٤.٥ مترا أى نحو ٦٠مترا مربعاً مجهزة للسكن وملحق بها حديقة صغيرة خاصة ولها سقف ومدرج ويقدر تكاليف البيت الواحد منها ٣٥ ألف دولار .

فى جعبة شارون أيضا مشروع لبناء ٥٤ ألف و٦١٤ وحدة سكنية منها ٧١٠٠ فى الضفة وغزة و١١٠٠ فى الجولان و٢٠٠٠ فى القدس الشرقية، وهو المشروع الذى يهدف إلى تسكين المهاجرين السوفيت وكذلك إلى تشغيل العديد منهم فى هذا المشروع .

وما دامت كتلة الليكود فى الحكم، وما دام شارون يتولى شئون الاستيطان فأن المائة ألف مستوطنة الموجودة الآن فى الأراضى المحتلة (كانت المستوطنات محدودة للغاية قبل وصول مناحم بيجين للحكومة فى إسرائيل عام ١٩٧٧) كما أنها تكثفت فى عهد الحكومة الائتلافية (ليكود ـ عمال ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨) ثم انطلقت بجنون مع حكومة شامير اليمنية عام ١٩٩٠) قد تصل إلى الفى مستوطنة فى غضون شهور، وبالتالى يحتمل تضاعف العدد خلال سنوات إذا بقى الحال على ما هو عليه .

الصراع المائى

من العوامل المؤثرة أيضا على تصورات الحل فى القضية الفلسطينية ما يسمى بالصراع المائى، الناشئ عن محدودية شديدة فى موارد المياه بالنسبة للطلب المتزايد فى عقد التسعينات بأنه عقد "الصراع على موارد المياه المحدودة فى منطقة الشرق الأوسط " .

وقد أقر خبراء المياه من إحدى عشرة دولة عربية فى عمان عام ١٩٨٩ بأن الأمن المائى العربى لايقل أهمية عن الأمن القومى (العسكرى) .

وتثير الأبحاث إلى أنه مع أزدياد معدل النمو السكانى فى التسعينات بنسبة (٤٪) فى منطقة الشرق الأوسط مع انخفاض معدل تدفق المياه إلى دول المنطقة سوف يكون من المستحيل توفير الماء اللازم للجيل القادم .

وبناء على هذا عمقت إسرائيل علاقاتها مع دول الجوار العربى، بل وشاركت فى نهب ما أمكنها من الأنهار والمياه الجوفية لضرب العمق الإستراتيجي العربى فى مقتل الأمن المائى .

والأسئلة المطروحة فى هذا السياق ساقها الدكتور حسن بكر (المنظور المائى فى الصراع العربى الإسرائيلى ـ السياسة الدولية عدد ١٠٤ إبريل ١٩٩١) هى :

(١) هل هناك مخاطر على موارد المياه العربية ؟

(٢) وإذا كان الأمر كذلك فما هى مؤشرات التنافس على موارد المياه فى الشرق الأوسط ؟

(٣) كيف أدارت إسرائيل حرب المياه مع العرب خلال العقد الماضى .؟

وما يهمنا فى هذه التساؤلات هو محاولة استشراف سلوك إسرائيل القادم من أجل توفير احتياجاتها المائية ومدى اصطدام هذا السلوك بالإرادات السياسية العربية، إلى جانب ما سوف تضمه إلى جدول أعمال المفاوضات المقترحة مع أطراف أزمة الشرق الأوسط، خصوصاً إذا علمنا أن إسرائيل تعتمد على ٤٠٪ من احتياجاتها المائية من موارد المياه الواقعة فى الأراضى العربية المحتلة، كما إنها تحظر على العرب من سكان الأراضى استخدام المياه وحفر الآبار إلا فى حدود معينة، بينما تطلق هذه الحق للمستوطنين الذين اصبحوا يبيعون ماء العرب للعرب، ويستهلك المستوطن خمسة أضعاف استهلاك المواطن العربى الذى يدفع ضعف رسوم الإستهلاك التى يدفعها المستوطن عن نفسى الكمية .

ولإسرائيل مطامع فى مياه النيل ولديها مشروع شراء مياهه وتحويلها إلى النقب سبق وأن وافق عليه الرئيس المصرى الراحل أنور السادات ولكنه لم يتم لسبب المعارضة الداخلية العاتية

التى واجهته، والمشروع مايزال قائماً حتى اليوم بأسم اليشع كلى الذى يعمل فى شركة تاحال ويهدف إلى توصيل مياه النيل تحت قناة السويس ليصل إلى قطاع غزة وبير سبع عن طريق مجرى مائى مبطن يصل طوله إلى ٢٥٠ كيلو مترا .

كذلك لإسرائيل أطماع فى نهر الأردن، بل أنها تسحب بالفعل ٦٦٠ مليون متر مكعب منه عن طريق بحيرة طبرية مما يزيد من ملوحة النهر وعدم صلاحية مياهه للرى، وهناك مشروع إسرائيلى طرح فى مؤتمر " ارماند هامر " للتعاون الإقتصادي فى الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب (يونيو ١٩٨٨) يهدف إلى اشتراك الأردن وإسرائيل فى تحويل فيضان نهر اليرموك إلى بحيرة طبرية التى أخذ منسوبها فى الانخفاض .

وفى دجلة والفرات فأن لإسرائيل وتركيا مشروعا لمد أنابيب مياه إلى الجزيرة العربية وإسرائيل يتكلف ٢٠ مليار دولار، ولا يخفى أن دخول إسرائيل للبنان كان من الأهداف الكبرى له الوصول إلى نهر الليطانى، وفى شهر مارس عام ١٩٩٠ قال الوفد اللبنانى فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب أن إسرائيل تستغل مياه نهرى الحصبانى والوزانى استغلالا كاملا بمعدل ١٤٠ مليون متر مكعب سنوياً، وقد أحاطت إسرائيل نبع العين والوزانى بيساج ومدت منهما اقنية وانابيب عبر الأراضى الإسرئيلية، وتسيطر على منطقة من نهر الليطانى طولها بين كيلو مترا من مجرى النهر لا أحد يعرف ماذا تفعله هناك، وربطت شبكة مياه الحدود اللبنانية بشبكة الجليل فى فلسطين المحتلة .

إن إسرائيل تقوم اليوم بنهب للمياه العربية وتؤلب دول الجوار الإستراتيجي لكى تضغط على الدول العربية ـ خاصة دول المواجهة ـ بواسطة الحرمان من المياه إذا اشتركت معها فى أحواض الأنهار . ولذلك فلابد أن يكون لدى المفاوض العربى مايواجه المفاوض الإسرائيلى به من إستراتيجية عربية موحدة تجاه المياه إذا أثارت إسرائيل مثل هذا الموضوع فى أى مباحثات سلام قادمة .

التوازن العسكرى :

تشي كافة التقارير إلى أن التوازن العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط لصالح إسرائيل، وأن أمريكا عملت ـ وتعمل ـ دائما على حفظ رجحان الكفة الإسرائيلية فى هذا التوازن إلى

جانب امتلاك إسرائيل للرادع النووى بشكل شبه مؤكد مع افتقاد العرب لهذا النوع من السلاح.

لذلك تكتسب المبادرة المصرية لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار أهمية فى مجرى الصراع العربى الإسرائيلى، وخاصة مع إصرار الولايات المتحدة على تجريد العراق من أى إمكانيات تجعله قادرا على انتاج مثل هذا النوع من الأسلحة .

ولكن قد يشهد الغد ـ القريب أو البعيد ـ سبقا عربيا غير مسبوق فى مجال التسلح كنتيجة من نتائج حرب الخليج، واحتمال استخدام منطقة الخليج مخزناً للسلاح الأمريكى، إلى جانب كون نفس المنطقة مكانا مفضلا للأسلحة التقليدية المراد التخلص منها طبقا لإتفاقيات الحد من التسلح بين القوتين العظميين .

على كل حال فأن التفوق فى التسليح والميزان العسكرى لايمكن أن يضمن لإسرائيل أمنها، ففى الحرب كما يقولون تخرج كل الأطراف خاسرة، غير أن هذا التفوق ربما يعطى لإسرائيل قوة تفاوضية أكبر كأحد الأوراق التى تملكها فى مواجهة خصومها .

ثم أن النظام الدولى الجديد قد يتعرض للتغيير السريع خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار احتمال نجاح الإتحاد السوفيتى فى استعادة مركزه الدولى وعودة شبح الحرب الباردة ومايعنيه من سباق فى التسليح وتطوير الأسلحة، وهو الأمر الذى يعنى إعادة بعض التوازن المفقود بين إسرائيل والدول العربية الذى يترجم نفوذ قطبى النظام الدولى على المستوى الإقليمي .

وفيما يلى تحليل ورؤية لكل من السيناريوهات المحتملة بشأن إيجاد حل للقضية الفلسطينية .. وبالتالى قضية الشرق الأوسط .. وظروف وملابسات عقد مؤتمر السلام .. وماذا سيكون عليه الحال عقب عقد المؤتمر .. وما هى أليات الحل الأمريكى للقضية .. والإقتراحات الإسرائيلية المحتملة .. كيف سيكون .. إلى آخر ذلك .. مما يحويه " وهم " .. السنوات القادمة .. !!

فى هذا الخصوص .. وذكر " السنوات القادمة " .. هنا ليس من قبيل التشاؤم .. وإنما من واقع أسلوب إسرائيل .. ووسائلها وطريقة تناولها لأية قضايا تتعلق بكيانها .. وطموحاتها ... وأحلامها .. وذلك دون أغفال الدور الأمريكى فى هذا الشأن .. !! كل ذلك فى إطار قواعد " اللعبة ! .. إذا صح التعبير ..!

السيناريو الأول

النجاح والفشل فى قارب واحد

يعتمد هذا السيناريو على المواقف المعلنة الواضحة لكل الأطراف المعنية ـ سواء الأطراف التى من المفترض دخولها فى تفاوض مباشر مثل (الأردن وفلسطين) وسوريا ولبنان وإسرائيل أو الأطراف التى سيقتصر دورها فى المؤتمر على المشاركة والرعاية والمراقبة مثل مصر والولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى ورئيس المجموعة الأوربية وممثل السكرتارية العامة للأمم المتحدة وأمين مجلس التعاون الخليجى وممثل لأتحاد المغاربى .. ومن ثم يأتى تصور هذا السيناريو فى أطار " اللعب على المكشوف " فالمواقف معروفة مسبقاً ويكاد كل طرف من الأطراف المتفاوضة يتصورها مبادئ لا يمكن أن يحيد عنها ولو سنتيمترا واحدا ! ..

وفى إطار هذا السيناريو كان الإعلان عن تأجيل انعقاد المؤتمر إلى أواخر شهر أكتوبر ١٩٩١ بمثابة إعتقاد بحدوث فشل الجهود الدولية الكبيرة والمساعى العديدة التى بذلت لتحريك " بركة المياه الساكنة " وتحقيق السلام لمنطقة عاشت تقريباً دون أن تعرف لهذا السلام أى وجود!..

وعلى ذلك أتفقت كل الأطراف تقريباً على تأجيل انعقاد المؤتمر لمدة محدودة .. حتى آخر شهر أكتوبر ١٩٩١ .. وهو ما حدث بالفعل .. وليس معنى هذا الإتفاق أن وجهات النظر كانت متطابقة فيما يتعلق بمسألة التأجيل، وإنما يعنى هذا أن هناك أسباباً خاصة لكل طرف على حده .. الإتحاد السوفيتى مثلا أراد هذه المهلة حتى يستعيد توازنه بعد الأحداث الدراماتيكية الأخيرة ولكى يمكنه ترتيب البيت من الداخل حتى يضمن أن يكون له دور إيجابى فى عملية السلام فى الشرق الأوسط .. والإتحاد السوفيتى يدرك تماماً أنه خسر كثيراً من استبعاده فى مفاوضات السلام المصرية ـ الإسرائيلية، ولذلك يأتى حرصه على الإشتراك الإيجابى فى مؤتمر السلام هذه المرة واضعاً فى إعتباره القاعدة التى تقول « أن الذى يشارك فى فرض التسوية يكون له دور بعد هذه التسوية « .. !

ولم تمانع الولايات المتحدة الأمريكية بدورها فيما حدث من تأجيل محدود لانعقاد المؤتمر وقد انتهزت هذه الفرصة لمحاولة دأب الصراع بينهما وبين إسرائيل ولكسب المزيد من التنازلات

المرئية لبعض أطراف التفاوض واضعة فى إعتبارها " كامب ديڤيد " مدركةً أن التنازلات المسبقة لأى طرف تحقق نتائج أسهل وأسرع .

أما الأطراف المشاركة ومنها مصر .. فلم ترى فى هذا التأجيل ضرراً مادام محدوداً ومادام لم يكن ليصل إلى حد الدخول فى التوقيت الخطر الذى ستنشغل به الولايات المتحدة الأمريكية فى إنتخابات الرئاسة الأمريكية وتعتقل به إسرائيل بسبب الإنتخابات أيضاً .. !

وحتى الدول العربية المتفاوضة لم ترى فى هذا التأجيل خطراً مادامت ستضمن فى النهاية إشتراك الاتحاد السوڤيتى بصورة إيجابية تضمن لها بعض التوازن ومن ثم بعض المكاسب .

وأما إسرائيل فكان هذا التأجيل بمثابة فرصة لها تحصل على أكبر قدر من المكاسب قبل الدخول فى مفاوضات تعلم أنه مهما تحقق من نتائج فإنها ستخسر بسببها .. كما أن التأجيل قد أتاح لها فرصة محاولة إصلاح مسار الأحداث الأخيرة، التى كانت قد أنتهت بوجود خلاف على السطح بينها وبين الحليف الرئيسى لها .. الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد كانت إسرائيل تأمل فى أن يؤدى هذا التأجيل المحدد إلى مزيد من التأجيل تصبح معه فكرة انعقاد المؤتمر مجرد فكرة غير قابلة التنفيذ .. ولعلنا لاننس ما قاله " إسحاق شامير " من قبل فى خطاب له خلال أبريل من عام ١٩٨٧ عندما قال :

" أننا نعلم ما سوف يقرره هذا المؤتمر بشأن حدودنا والقدس ويهودا والسامره والضفة الغربية، ولذلك لا يؤيد عقد هذا المؤتمر إلا الشخص أو الأشخاص الذى يريدون فقدان دولتهم وفقدان استقلالهم والقضاء على أمنهم .. ونحن لا نريد ذلك .. " !

فى هذا الإطار أنعقد المؤتمر فى أواخر شهر أكتوبر ١٩٩١ بدلاً من أوائل الشهر نفسه .. أو الشهر السابق له (سبتمبر) .. وفى هذا الإطار أيضاً ظلت إسرائيل فى جانب .. والوفود العربية فى جانب آخر .. كل فى خندقه لا يريد أن يتحرك قيد أنمله ..!

إسرائيل من ناحيتها تنظر إلى القدس عاصمة موحده ومن ثم سيكون هناك إصرار على ألا يكون من بين الممثلين الفلسطينيين أى واحد من القدس وستكون أكثر اصرارا على ربط الصراع العربى ـ الإسرائيلى بحل المشكلة الفلسطينية ولن يكون هناك حل لهذه المشكلة ما لم تحل جميع مشاكل المنطقة ....

و ستظل إسرائيل على رأيها بالنسبة لقضية انسحابها من الجولان والتى تعتبرها مسألة فى غاية الأهمية لأمنها .. أو على الأقل لن توافق على الانسحاب فى الجولان كشرط مسبق

للتفاوضات وستمتلك إسرائيل بأن تظل فى نفس مواقعها فى لبنان مادام السوريون موجودين هناك .. !!

كما ستظل تحفظات إسرائيل كما هى فيما يتعلق بقيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة .. ولن توقف إسرائيل بناء المستوطنات قبل بدء هذه المفاوضات خاصة بعد أن اشتعل الخلاف بينها وبين الولايات المتحدة بشأن هذه المسألة .. كما ستظل إسرائيل رافضة مبدأ الأرض مقابل السلام ..!!

والدول العربية من ناحيتها ستظل على موقفها من قضية الانسحاب وحق تقرير المصير وسيكون من مطالبها الانسحاب من كل الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ تطبيقياً لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ واضعة فى الاعتبار أن الولايات المتحدة لم تعد تمانع فى تطبيق هذا القرار .. وهذا يعنى أنها يمكن أن تحصل على الأرض مقابل السلام .

وهى تطالب بحق تقرير المصير للفلسطينيين وإقامة دولة لهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة وتطالب بالانسحاب من جنوب لبنان ووضع حد لقضية نهب و سرقة المياه العربية ...

ولعل اصرار كل طرف ـ إسرائيل من جانب والعرب من جانب آخر ـ على مواقفه السابقة وتشدده فى التمسك بها يعنى من وجه نظر البعض الفشل واستحالة عقد المؤتمر .. ولكن من قال أن عدم انعقاد المؤتمر هو الفشل الوحيد الذى يمكن أن يواجه عملية السلام فى المنطقة ؟!

أن كثيرون يتصورون أن مجرد موافقة جميع الأطراف المعنية على عقد مؤتمر السلام وإتفاقهم على موعد محدد يعنى السلام .. وهو للأسف تصور خاطئ لأن انعقاد المؤتمر وإتفاق كل الأطراف المعنية على عقدة كان مضموناً .. لكن الذى يمكن أن يحدث بعد ذلك هو الذى ليس مضموناً ..!

ففى ظل المواقف المسبقة والتشاورات الواضحة كان من السهل على أى طرف اختلاق أزمة ينسف بها المؤتمر بمجرد أن يبدأ ..! ولعله لهذا السبب جاء إختيارنا حين وضعنا تصورنا من خلال السيناريو ـ أن تستمر أعمال المؤتمر يومان أو ثلاثة على أكثر تقدير يقدم خلالها رئيس كل وفد القاء كلمة افتتاحية يراعى فيها ويركز على رغبة الدولة التى يمثلها فى تحقيق السلام.. ومجرد مبادئ عامة لا تلزم أى طرف بقيود أثناء عملية التفاوض ذاتها .. ولا تسبب أى أزمات .

و فى أطار هذا السيناريو سينفض المؤتمر بعد أن تنتهى كلمات الوفود ـ وهذا سيحدث فى

أطار جلسات عامة ـ وبعد ذلك ستدخل عملية السلام مرحلة جديدة يحدث فيها نوع من المفاوضات الثنائية بين إسرائيل من جهة والأطراف العربية من جهة أخرى .. وستتم هذه المفاوضات الثنائية فى نفس مكان انعقاد المؤتمر .. فسيكون أهم ما سيبحثه المفاوضون فى هذه المرحلة هوالأتفاق على مفاوضات ثنائية مباشرة تتم فى مدن حدودية بالتبادل .. كما سيكون هنالك اتفاق على مستوى التمثيل فى هذه المفاوضات المباشرة .. !!

وعلى ذلك ستكون هناك مفاوضات ثنائية بين إسرائيل ووفد أردني ـ فلسطيني، وإسرائيل ولبنان ، وإسرائيل وسوريا وستتم هذه المفاوضات التى يتوقع لها أن تستمر لمدة أسبوعان تقريبا بالتبادل مره فى إسرائيل ومره في لبنان وسوريا والأردن .. وسوف يترك وزراء الخارجية مقاعد رئاسة وفودهم فى هذه المفاوضات الثنائية لكبار الرسميين .. !! ومن السهل طبعا توقع ما سيدور خلال هذه المفاوضات الثنائية المباشرة .

ففيما يتعلق بالمفاوضات بين إسرائيل وسوريا ستكون الجولان هى محور هذه المفاوضات..!

وفيما يتعلق بالمفاوضات بين إسرائيل ولبنان ستكون مسألة انسحاب إسرائيل تطبيقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ من المناطق الحدودية هى المحور الرئيسى للتفاوض بين إ•إسرائيل ولبنان .

أما المفاوضات بين إسرائيل والأردن وفلسطين فسوف تفرض قضية الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية على مائدة التفاوض .

ويستبعد هذا السيناريو الوصول إلى إتفاقيات محددة فى هذه المرحلة أو حتى الإتفاق على خطوط شبه نهائية لمشروع السلام .. مشاكل كثيرة معلقة ستفرض نفسها على جو هذه التفاوضات؟

ولعل مستقبل القدس الشرقية ـ أو الجزء الغربى من مدينة القدس هو أكبر المشاكل التى ستفرض نفسها على المفاوضات بين إسرائيل والأردن وفلسطين مع أن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضى العربية المحتلة بعد عدوان ١٩٦٧ .. وطبقا لقرارات الأمم المتحدة .. بل أن الولايات المتحدة نفسها والإتحاد السوفيتى وحتى أوربا ينظران إلى هذه المسألة من نفس المنظور الذى تراه الأمم المتحدة .. أى أنهما يعتبران القدس الشرقية جزء من الأراضى العربية المحتلة .. !!

ولكن إسرائيل بالطبع ستظل على نفس موقفها الثابت من قضية القدس .. عاصمتها

الموحدة ...

كما ستبقى قضية الجولان مشكلة قائمة وسوف يكون هناك إصرار سورى على انسحاب كامل واستعداد إسرائيلى لانسحاب جزئى .. !!

ولا يمكن أن نتوقع بالطبع أن يكون هناك اتفاقا لبنانيا إسرائيليا ما دامت هناك قضايا معلقة وشائكة بين إسرائيل وسوريا .. وبين إسرائيل والأردن وفلسطين..!

ولعل هذه الألغام المتفجرة والتى ستفرض نفسها بالقطع على المفاوضات والمباحثات الثنائية المباشرة تستلزم تدخل الأطراف الأخرى ..!

ولهذا يفترض السيناريو أن يشترك فى هذه المفاوضات كل الأطراف الأخرى التى أنتهى دورها حتى انعقاد المؤتمر على رعايته والمشاركة فيه ومراقبته .

ويفترض السيناريو أن يتم هذا فى أطار متعدد الأطراف تدخل فيه مصر بصفتها دولة لها حدود مع إسرائيل ويشترك فيه الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى وممثل الأمم المتحدة .. وعند هذه المرحلة ـ كما يفترض السيناريو ستكون هناك محاولة لتجاوز الخلافات الرئيسية ـ مرحليا ـ والانطلاق للإتفاق على حلول عامة للمشكلة .

ولذلك سيكون التركيز على بحث مشكلة الأمن فى أطار الحدود المشتركة ومشكلة سباق التسلح فى المنطقة والحد من التسلح وضرورة تدمير أسلحة الدمار الشامل بما يحمله هذا من التزام بالإتفاقيات الدولية التى تتطلب الخضوع لعمليات الرقابة والتفتيش كما ستطرح على مائدة التفاوض قضايا المنطقة من حيث البيئة والتلوث والتصحر والإشعاع وغيرها من المسائل التى تهم كل دولة من دول المنطقة .. وستشغل بالطبع ـ فى هذا الإطار ـ مشكلة المياه حيزاً كبيراً من المفاوضات بين الأطراف المعنية .. !!

وستكون قضية التنمية الإقتصادية احدى القضايا الرئيسية التى سيتم بحثها فى مثل هذه المفاوضات .. فاذا جاء ذكر التنمية الإقتصادية فان طبيعة القضية تفترض على اطراف أخرى أن تنضم لهذه المباحثات ولذا يفترض السيناريو أن تنضم تركيا ودول الخليج العربى للمفاوضات الدائرة .. !!

وسيكون من أهم القضايا المطروحة على مائدة التفاوض مشكلة اللاجئين الفلسطينيين سواء الموجود منهم داخل المخيمات و معسكرات الإغاثة أو الموجود منهم داخل إسرائيل أو داخل الدول العربية وستبذل الأطراف التى لم تدخل فى المفاوضات الثنائية كل جهد ممكن للتوصل

إلى حل دائم ونهائى للمشكلة فى المنطقة .. وهى مصر والولايات المتحدة و الإتحاد السوفيتى و دول الخليج التى تنضم للمباحثات والمفاوضات لمناقشة القضايا الإقتصادية .. ورغم كل هذا يفترض السيناريو أن تبقى بعض المشاكل معلقة .. !

وسوف تمثل بكل تاكيد هذه المشاكل المعلقة تهديد حقيقى لحصلة نتائج جهود السلام حيث لن يكون مقبولا لا لإسرائيل أو للأطراف العربية الوصول إلى أى إتفاقيات ناقصة !! إتفاقيات جزئية أو ثنائية !! لن يكون مقبولا مثل الوصول لحل مشكلة الجولان بينما مشكلة لبنان مازالت معلقة .. ولن يكون جائراً الإتفاق على حل المشكلة الفلسطينية دون أن يكون هناك حل لمشكلة القدس الإسرائيلية .. !

وهكذا ستحتم على جميع الأطراف إما الوصول إلى حل كامل ونهائى يحقق السلام ترضى عند جميع اطراف المنطقة وإما الإعتراف بوجود مشاكل معلقة من النوع الغير قابل للحل .. وفى هذه الحالة ستعطل هذه المشاكل تحقيق ـ أى ـ إيجابية للمؤتمر .. ! وهناك افتراض يؤكد مفترضيه أن الأجراء الذى سيتفق عليه معظم هذه الأطراف هو ارسال هذه المشاكل المعلقة إلى الأمم المتحدة بإعتبارها الجهة الوحيدة التى يمكن أن تكون لها كلمة فاصلة ومحايدة فيما يتعلق بهذه المشاكل .

وهكذا يفترض هذا السيناريو أن تلعب الأمم المتحدة ومجلس الأمن دورا ايجابيا فى تحقيق السلام فى المنطقة .. ومن المؤكد أن الأمم المتحدة سيكون لها دورا ايجابيا .. ولكن السؤال الذى يفرض نفسه هو هل سيقتصر دور الأمم المتحدة على اعتماد وتصديق الإتفاقيات التى ستتوصل اليها الأطراف الثنائية فقط ؟! إسرائيل ولبنان مثلاً!! أو إسرائيل وسوريا !! أم أن الأمم المتحدة أو مجلس الأمن بالتحديد .. يمكن أن يكون له دور فيما يتعلق بالفصل فى المشاكل المعلقة ..؟!فمن المفترض أن الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الإتحاد السوفيتى سيحاولان قدر الإمكان الوصول إلى حلول لمثل هذا المشاكل المعلقة .. والتغلب على نقاط الخلاف بين إسرائيل من جهة وأى أطراف عربية من جهة أخرى .

لكن ماذا يمكن أن يحدث فيما لو لم تستطيع الدولتان الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى ـ التغلب على هذه الخلافات المعلقة ؟!

لن يكون هناك من حل سوى اللجوء لمجلس الأمن .. للأمم المتحدة .. ولكن إسرائيل تدرك جيداً .. أولا أن الأمم المتحدة قد أصدرت بالفعل ومن قبل قرارات ليست فى صالحها وليست

فى صالح أى خلاف يمكن أن يثار فيما بعد .. بل أن الواقع أن قرارات الأمم المتحدة والتى توافق عليها بالفعل الأطراف العربية ستكون بمثابة الخلافات المعلقة التى ستعطل الوصول إلى اتفاق يرضى عنه كل الأطراف .. أى أن إسرائيل تدرك جيداً أن الأمم المتحدة لا يمكن الإعتماد عليها إلى درجة كبيرة .. ثم أن إسرائيل تدرك أيضا أن المتغيرات الدولية الأخيرة وما شهده العالم من أحداث ـ أهمها بالطبع أزمة الخليج على الأقل بالنسبة لدول المنطقة ـ تدرك أن هذه المتغيرات ستفرض على مجلس الأمن وعلى الأمم المتحدة فرعا من التحرك الجاد والإيجابى فلم يعد مقبولا بعد أن أدانت الأمم المتحدة عدوان العراق على الكويت وبعد أن أقر مجلس الأمن قبول دخول المجتمع الدولى . فى صوره قوات التحالف ـ لتنفيذ قرارات مجلس الأمن بالقوة .. لم يعد مقبولا أن تقف الأمم المتحدة التى استباحت دم العراقيين للعالم مكتوفه الأيدى أمام أى تعنتات إسرايئلية ... وإسرائيل تدرك هذا بوضوح كامل ولذلك يستعد هذا السيناريو أن توافق إسرائيل على تصعيد الخلافات المعلقة بها إلى مجلس الأمم المتحدة ... وربما لجأت إسرائيل إلى تصعيد المشاكل المعلقة للتحكيم الدولى وهى تفترض مسبقا أن مثل هذه الإجراءات يمكن أن تطول حتى تتغير الأوضاع وتتغير المواقف لصالحها.."وطابا" نموذج ليس بعيداً عن الأذهان !!

ليس من المفترض أن تسمح الدولتان العظمتان .. الولايات المتحدة الأمريكية والاتحادالسوفيتى بالوصول إلى هذا الحد .. الولايات المتحدة بالدرجة الأولى لن تسمح بالوصول إلى طريق تسده إسرائيل ..

والاتحاد السوفيتى من جانبه يدرك أنه لم يعد القوة العظمى التى تقف على قدم المساواه مع الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يتأخر ترتيبه فى جدول المنافسة أكثر من المركز " الثانى " بل أنه يعتبر نفسه فى مرحله يسعى فيها إلى استعاده ترتيبه القديم.. " الأول مكرر " وهو يعتبر أن وقوفه إلى جانب العرب فى مباحثات السلام والمفاوضات الصعبة فرصه ذهبية تتيح له أن يكون له فيها فيما بعد ... بعض نفوذ فى منطقة تجمعت فيها كل الظروف لكى تخرجه منها ... حرب الخليج التى تثبتت أقدام الولايات المتحدة بشكل يسهل بعد ذلك هزها ... وأوضاع الاتحاد السوفيتى نفسه ومتاعبه الإقتصادية قد جعلته غير قادر على الاحتفاظ بتأثيره القديم فى المنطقة ... !! ولذلك من المفترض أن يمارس الاتحاد السوفيتى نوعاً من الضغط على إسرائيل لكى تحل كل المشاكل المعلقة ـ أو على الأقل توافق على أحالتها لمجلس الأمن وسوف يكون معروفاً سلفاً أن ورقه الضغط الوحيدة التى يمكن أن

يستخدمها الاتحاد السوفيتى هى المهاجرون السوفيت إلى إسرائيل ... ولكن فى نفس الوقت فأن الاتحاد السوفيتى يدرك أنه لن يستطيع إستخدام هذه الورقة طويلا .. لأن الغرب كله يستطيع أن يستخدم ورقة ضغط أقوى عليه وهى المساعدات الإقتصادية التى أصبح الاتحاد السوفيتى فى أمس الحاجة إليها .. !!

الولايات المتحدة أذن هى التى تستطيع بالدرجة الأولى أن تمارس ضغطا معقولا لتحريك الأوضاع بالطريقة التى تريدها وهى لا تريد ولن تسمح بالوصول إلى طريق تسده إسرائيل .

فهل يعنى هذا أن الولايات المتحدة ستدخل فى صراع حقيقى مع حليفتها السابقة إسرائيل ؟! هل يعنى هذا أنها ستضحى بها تماما فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل صنع السلام ؟ ! ..

هذا سؤال فى منتهى الأهمية .. !!

أما الإجابة عليه فتتلخص فى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم ولن تفقد إسرائيل كحليف طبيعى لها .. ولا يمكن أن تضحى بها ولكنها فقط لن تسمح لها بإغلاق طريق السلام .. أنها يمكن أن تسمح لسوريا أو لفلسطين بإغلاق هذا الطريق .. لكن ليس إسرائيل ! ..

الولايات المتحدة يهمها جدا .. وهى تدرك أن إسرائيل فى النهاية " محسوبة " عليها .. يهمها ألا تكون إسرائيل هى الطرف الذى يبدو أمام العالم وقد قتل فرص السلام وحطمها ! ..

لماذا وما هى دوافع الولايات المتحدة ؟

لعله يجدر الإشارة هنا إلى أنها المرة الأولى فى تاريخ الولايات المتحدة التى تتحمل فيها مسئولية تحريك قضية الشرق الأوسط بهذا الشكل .. وبهذا الحماس .

وهى فى ذلك دخلت فى صراع حقيقى مع الحليفه السابقة إسرائيل .. والإدارة الأمريكية بزعامة چورچ بوش ومن ورائه بيكر واجهت بالفعل ضغط من بعض طوائف وقوى المجتمع الأمريكى نفسه .. وهذه الطوائف أو القوى هم اليهود الأمريكان بالطبع .. هذا فى داخل الولايات المتحدة .. أما خارجها فقد واجهت إدارة بوش أيضا إسرائيل نفسها ..

أن مسألة الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل فهى ليست جديدة .. ولكنها لم تصل على مدار تاريخ العلاقات بين الدولتين إلى ذلك المنعطف الذى وصلت إليه .. لم تصل أبداً إلى حد اتهام الرئيس الأمريكى بمعاداه الساميه أو بإتهامه بالانحياز الكامل للعرب .. فما الذى حدث حتى تتحول السياسة الأمريكية وتنحرف بمقدار ١٨٠ درجة ؟! هل صحيح أن الرئيس الأمريكى

يعادى الساميه ؟!

هل صحيح أنه وقع تحت ضغط لوبى عربى داخل الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

هل وقع الرئيس الأمريكى چورچ بوش ومن وراءه وزير خارجيته چيمس بيكر فى غرام العرب فجأة ؟! ..

أن إسرائيل نفسها أول من يدرك أن كل هذا غير صحيح ؟ ! فهى تعرف أنه ليس هناك أى وجود لما يمكن أن يسمى باللوبى العربى ... وهى تعرف أيضا أن موضوع الساميه ومعاداه الساميه مسأله ساذجة وأنها ليست أكثر من مجرد ابتزاز سياسى من جانبها .. !!

أما الحقيقة فهى أن الرئيس الأمريكى ووزير خارجيته يدركان جيداً أن الولايات المتحدة أصبحت بالفعل " زعيمه " العالم . وأنها وصلت إلى قمة زعامة العالم .. ويدركان فى نفس الوقت أن هذا الوضع الجديد يمكن أيضا أن يتغير ... وأن استمرار زعامة الولايات المتحدة للعالم سيكون لفترة محدودة ... طالت هذه الفترة أو قصرت .

وأفضل ما يمكن أن تقوم به الإدارة الأمريكية فى هذه الفترة ـ فترة زعامتها للعالم ـ هو استثمار هذه الفترة لأقصى درجة بما يعود عليها من فائدة ويضيف إلى رصيدها فى فترة أخرى قد تتغير فيها الأوضاع وتتبدل موازين القوى .

بمعنى آخر أن الولايات المتحدة أو الإدارة الأمريكية الحالية ممثله فى الرئيس الأمريكى چورچ بوش ووزير خارجيته چيمس بيكر يصنعان ـ من وجهة نظرهما أن يستثمرا فترة زعامة الولايات المتحدة للعالم وانفرادها بهذه الزعامة فى وضع الترتيبات والركائز التى تضمن قدرا هاما من المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط ... منطقة الطاقة والثروات .. وذلك لعده عصور قادمه ... وحتى لو تبدلت الأوضاع وحتى لو عادت لعبة التوازن الدولى تفرض نفسها من جديد ... حتى لو انقلبت الأوضاع مره أخرى فى الاتحاد السوفيتى ... وقتها ستكون الولايات المتحدة هى صاحبة الفضل الأول والأخير لسلام المنطقة ووقتها ستحافظ الدول العربية قبل إسرائيل على المصالح الأمريكية هذه هى فى الواقع دوافع الولايات المتحدة الأمريكية ..!!

وهذه هى الأسباب الحقيقية لما يبدو صراعا بين الولايات المتحدة وإسرائيل .!! إسرائيل تعلم هذا والولايات المتحدة بالطبع ... أنها مسأله " مصالح أمريكية " أنن قبل أى إعتبار أخر .. ولكن هذه المصالح قد تسبب بعض الخسارة لإسرائيل ... وإسرائيل لا تتحمل أى خسارة .. لا تريد أن تتحمل أى خيار وهى تعلم أيضا أن السلام فى النهاية يعنى الخسارة لها ...

فإسرائيل بنت فلسفتها وامنت وجودها بالحرب وليس بالسلام !! بسلب الأرض وليس بأعادة الأرض .

وهذه هي أسباب الخلاف بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية الآن .. !!

ولكل هذه الأسباب لن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل إذا ما انعقد مؤتمر السلام وإذا ما سارت جميع الأطراف فى طريقه شوطا .. لن تسمح لإسرائيل بإغلاق طريق يصل لتحقيق السلام .

إذا فعلت هذا أطراف عربية فأن المسألة من وجهة النظر الأمريكيه تختلف ... العرب ليسوا محسوبين على الولايات المتحدة الأمريكية .. إسرائيل فقط هى المحسوبة عليها ... فليفعل العرب ما يريدون أما إسرائيل فستفعل ما نراه " نحن " صالحا (!!!)

تلك هى وجهه النظر الأمريكية .

وهكذا يمضى السيناريو فى الوصول إلى اجزاءه الأخيرة .

فسوف ينعقد مؤتمر السلام ... وستكون هناك مفاوضات ثنائيه ومن بعدها ستتدخل كل الأطراف المشاركة والمراقبة والراعية .

وستكون هناك مشاكل معلقه ... أمور ستحاول كل الأطراف أن تجد لها حلا ولكنها أمور صعبه ومصيريه ... تنازل العرب عنها يعنى تنازلهم عن كل أمل فى غد أفضل ...!! وتنازل إسرائيل عنها يعنى تنازلها عن وجودها ...!!! والمسألة بهذا الشكل ستحتاج إلى إجراء أضافي ... إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن ..!

وإسرائيل قبل أى طرف آخر تدرك جيداً أنها ستخسر كثيراً فيما لو تصاعدت الأمور ووصلت إلى مجلس الأمن وكذلك ستبدو فى منتهى التعنت !!

والولايات المتحدة لن تسمح لها بأن تكون ـ إسرائيل ـ سببا فى فشل مشروعها للسلام .

واحتمال الفشل الوحيد لابد وأن يكون المسئول عنه العرب ! ... فأما الوصول إلى سلام تكون صاحبة الفضل الأول والأخير فيه الولايات المتحدة أو فشل لا تكون إسرائيل ـ المحسوبة على الولايات المتحدة ـ سببا فيه ... !

ولكن هل سيتحقق النجاح أم نصل إلى الفشل .؟!

هذا مالا يستطيع أحد أن يتنبأ به فالفشل والنجاح يستقلان قارب واحد ولا يستطيع أحد أن يعرف أيهما يستطيع توجيه هذا القارب (!!!) .

السيناريو الثانى

السلام على الطريقه الإسرائيليه ...!

هناك أسلوبان عاده للتفاوض بي طرفين .. فأما أن يجتمع هذان الطرفان مباشرة على مائدة مباحثات دون أى شروط مسبقه وفى جعبه كل منهما ما يملكه من شروط وما سيقدمه من تنازلات ... وبعدها يدخل الإثنان فى حلقه تفاوضيه طويلة أو قصيرة تكون فيها الورقة بالورقة والشرط بالشرط والتنازل بالتنازل . ! ..

وكلما اقتربت النهاية وكلما لاح أن هناك أملا فى الإتفاق ... تنسحب من على مائدة المفاوضات " الشروط " وتبقى التنازلات وهكذا تزيد نسبة التنازلات عاده ... لا قبل المفاوضات ولا أثناءها وأنما قرب نهايتها .. قرب التوصل إلى إتفاق ..!!!

هنا تختلف الحسابات ويعرف كل طرف كم كسب وكم يستطيع أن يقدم من تنازلات مقابل ما حصل عليه من مكاسب ..!!

هذا هو الأسلوب الأول لأى تفاوض ... بين أى طرفين أما الأسلوب الثانى فيعتمد أساسا على كمية كبيرة من المناورات يحاول كل طرف فيها أن يوحى إلى الآخر بأنه أساسا لا يريد التفاوض ! .. وأنه أساسا لا يقبل التنازلات ويبدو متشدداً إلى أقصى درجه ... وعندما تلوح فى الأفق بوادر الفشل وعدم الإتفاق على أى أسلوب للتفاوض يتدخل عاده طرف ثالث يضغط على الطرفين ويكون عاده ضغطه أكبر على الطرف الغير متشدد حتى يقدم تنازلات تشجع الطرف المتشدد على قبول مبدأ التفاوض !!!...

ويعتقد البعض أن إسرائيل استخدمت وتستخدم بالفعل الأسلوب الثانى فى لعن المفاوضات التى تدور حالياً من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ..!

ويتصور هذا السيناريو أن إسرائيل بدأت فى استخدام هذا الأسلوب منذ اللحظة التى أعلن فيها الجانب العربى عن رغبته فى الدخول فى مفاوضات لتحقيق السلام .

فهل تريد إسرائيل فعلا أن تدخل فى مفاوضات مع العرب ..؟!

هل هى رغبه حقيقيه موجوده بالفعل داخل عقول وأفكار قاده إسرائيل ؟! أم أنها تحاول أن توهم العالم بأنها طرف يسعى للسلام دون أن تقدم ما يشجع الجانب العربى على أن يدخل معها فى مفاوضات ؟! ثم ما هو بالضبط أسلوب إسرائيل فى التفاوض وكيف إذا ما وافقت

على التفاوض وحضور مؤتمر السلام ستكون طريقتها أثناء هذه المفاوضات ؟!

فى الواقع أن الإجابة عن هذين السؤالين يساعدان كثيراً فى تفهم طبيعة السيناريو الذى يفترض أن إسرائيل ستفاوض ولكن لن تدخل المفاوضات إلا بعد حصولها على أكبر قدر من التنازلات من جانب العرب ...!!

إسرائيل تريد التفاوض ... هذه حقيقة يؤكدها هذا السيناريو والذى يسوق حججاً كثير للدلالة على صحه هذا الاستنتاج ...

فالموقف على الساحة الدولية يتلخص فى وجود قوه عظمى واحدة انفردت تقريبا بمقدرات العالم ... صحيح أن الاتحاد السوفيتى سيدخل حتماً فى أي مفاوضات مقبله لكن إسرائيل تعلم جيداً أن ورقه الضغط الوحيدة التى يملكها الاتحاد السوفيتى أقل فاعليه عما كان من قبل فالاتحاد السوفيتى يعلم بدوره أن هناك ورقه أكثر أهمية تستطيع الولايات المتحدة بصفه خاصه والغرب بصفه عامه استخدامها ... وهى ورقه المساعدات الإقتصادية .. ! الولايات المتحدة أذن هى القوه الحقيقية المؤثرة والتى يمكنها أن تضغط ضغطا حقيقياً على أى طرف من الأطراف المشاركة فى مشروع المفاوضات .

والولايات المتحدة كانت وستكون دائما الحليف الطبيعى لإسرائيل ... والعكس صحيح أيضاً... !!

ومهما ظهر على السطح من خلافات حاده بين الحليفين الطبيعيين فمن المؤكد أن إسرائيل تتصور وتعلم أن الولايات المتحدة ستحافظ عليها فى أى مفاوضات إلى أقصى درجه ممكنه..!!

كذلك كما يؤكد هذا السيناريو ـ فأن منظمه التحرير الفلسطينية والتى كانت فى موقع قوى وممتاز قبل بدأ أزمة الخليج مباشرة أصبحت الآن فى وضع سيء يمكن معه لإسرائيل أن تستغل الموقف لصالحها ..!!

منظمه التحرير الفلسطينية قبل أزمة الخليج وقبل أن تشتعل منطقة الشرق الأوسط بالخلافات التى فجرتها هذه الأزمة استطاعت أن تسيطر على مشاعر العالم كله ... وربما مشاعر رجل الشارع الأمريكى أيضاً بما اعلنته من اعتناقها بمبادى جديدة ..!

فهى لن تتجه للأرهاب ولن تلجأ إليه .. !

وهى توافق على قبول كل قرارات الأمم المتحدة بعد أن كانت ترفضها ... !

وهى قبل كل هذا مستعده لأن تمد يدها وتصافح إسرائيل وتجلس معها على مائدة واحدة

لتبحث أمر طالما نادت به إسرائيل وهو ... السلام !

وهكذا وجدت إسرائيل نفسها لأول مره فى مأزق حقيقى .. وظهرت إسرائيل بوجهها السافر على العالم كله .. وأصبح الموقف أن منظمة التحرير التى كان العالم يعرف عنها أنها واحدة من مصانع الأرهاب فى العالم هى التى ترغب فى السلام ...

بينما إسرائيل التى طالما اكتسبت عطف ومشاعر دولا كثيرة بإعتبارها ضحية للأرهاب هى التى لا تريد السلام ...!!

ثم وقعت أزمة الخليج ... وانقلبت المواقف ! ...

وبزعامة ياسر عرفات لمنظمة التحرير اتجهت نحو الاتجاه الخاطئ .. واكتسبت عداء كل العالم تقريباً بتشجيعها العدوان العراقى على الكويت ... بل أنها اكتسبت عداء دولا عربية ... كثيراً ما ساعدتها ووقفت إلى جانبها ...!! ومهما كانت الأسباب والدوافع التى جعلت ياسر عرفات ومن ورائه يتجهان وراء العراق فأن النتيجة الوحيدة لهذا هو أن المنظمة أصبحت فى موقف لا تحسد عليه ..!! وقد حدث هذا فى وقت كسبت فيه إسرائيل تعاطف العالم بموقفها "الأخلاقى " من عدم الرد على صواريخ " صدام حسين " التى راح يلقيها على الأبرياء المدنيين فى داخل إسرائيل بينما قادتها يبدون أمام العالم وهم يحاولون أن يمارسوا أقصى ما يمكن من ضبط النفس !!

وهكذا تبادلت إسرائيل والمنظمة أماكنهما إسرائيل فى موقع يتعاطف فيه العالم معها ... ومنظمة التحرير عادت فارتدت الثوب الذى لم ينجح فى كسب أى تعاطف عالمى ..!!

ومن الطبيعى والمواقف قد أصبحت بهذا الشكل قد تقبل إسرائيل هذه الفرصة الذهبية فتدخل فى المفاوضات وهى تعرف أن منظمة التحرير لم تعد قادره على أن تكسب منها إلا الذى تريد أن تعطيه لها إسرائيل وفقط ...!!

هذه هى الأسباب التى يسوقها هذا السيناريو لإثبات أن إسرائيل تريد التفاوض فعلا ...!! وهذه الأسباب صحيحة إلى حد كبير لكنها ليست كل الأسباب فهناك سبب قوى أخر أصبح يلزم إسرائيل بدخول المفاوضات والاتجاه إلى طريق السلام ... !!

فمنذ أن اندلعت حرب الخليج ومنذ دخلت القوات الأمريكية إلى المنطقة التى لا تأتى إلى الشرق الأوسط إلا بموجب بطاقة مرور وافقت عليها كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية ..!! ومنذ هذه اللحظة أدركت الولايات المتحدة

الأمريكية أن إسرائيل التى تستمد وجودها الحقيقى من مفهوم رجل البوليس للمنطقة ... لا تستطيع بالفعل أن تلعب هذا الدور لا لصالح الولايات المتحدة ولا لصالح الغرب كله .

الولايات المتحدة كانت تدرك بالحس السياسى لقادتها أن ممارسة إسرائيل للدور الذى ظلت تؤهل نفسها طوال سنوات وجودها لممارسته ـ دور رجل الشرطة ـ لن يؤدى إلا إلى نتائج عكسيه ... !! فالدول العربية التى وقفت إلى جانب الكويت كانت ستأخذ جانب العراق فيما لو تولت إسرائيل تأدية المهمة التى أدتها الولايات المتحدة !! .. وكان من الممكن أن تتسع دائرة الأحداث فيدخل إلى جانب العراق أطرافا لم يكن ممكنا دخولها فيما بعد ... مثل إيران ...!!

كان من الممكن أن تشتعل المنطقة كلها فى صراع مقدس إذا تولت إسرائيل مهمه التصدى للعراق ... وكان من الممكن أن تبتعد كل الدول العربية التى ساندت المجتمع الدولى فى وقوفه إلى جانب الكويت ...!! وكل هذا يهدد المصالح الأمريكية فى المنطقة ...!!

وحتى عندما بدأت قوات التحالف ضرباتها الجوية ومن بعدها الحرب البرية ... كانت الولايات المتحدة تدرك جيداً أن أى تدخل من إسرائيل يمكن أن يفسد الأمور تماما ... ممكن أن يكسر التحالف ويفتح الباب لأطراف أخرى ظلت على الحياد طوال فترة الحرب ...!!!

بل أكثر من هذا فقد كان " صدام حسين " ومعه بالطبع " ياسر عرفات " يحاولان بشتى الطرق " جرجرة " إسرائيل بأى شكل للدخول مع الولايات المتحدة وقوات التحالف فى العمليات العسكرية وكان واضحا تماما أن كل الصواريخ التى وجهها " صدام حسين " للأراضى الإسرائلية هى محاولة استجداء رخيصة لكى تدخل الحرب ! ...

ولاشك أن الولايات المتحدة الأمريكية أدراكا منها لخطورة أشتراك إسرائيل فى العمليات العسكرية التى كانت تدار فى الخليج قد بذلت جهداً كبيراً لمنع إسرائيل من الرد !! وقد وصل الأمر إلى حد " الرشوة " لكى تمنع الولايات المتحدة إسرائيل من ضرب العراق انتقاما لصواريخ صدام حسين .. فقد انهالت المعونات وحصلت إسرائيل على أطقم كامله لصواريخ "باتريوت " وكان هذا هو الثمن الذى قبضته إسرائيل " فوق المائدة " أما تحت المائدة فكان الثمن أضعافاً مضاعفه ... !! فما معنى كل هذا ؟

معناه الوحيد أن إسرائيل لا يمكن أن تدخل حرباً لصالح الولايات المتحدة فى المنطقة .. فى هذه الحالة ستخسر الولايات المتحدة أكثر مما تكسب ...!!

الولايات المتحدة إذا دخلت فى حرب أو صراع فهى حرب عاديه وصراع طبيعى يمكن أن

تتقبله أطرافاً أخرى ... أما دخول إسرائيل حربا لصالح الولايات فهى الحرب المقدسة التى لا يمكن أن يتخلى عن ندائها عربى واحد أو مسلم واحد ....!!

كان هذا هو أهم دروس حرب الخليج التى خرجت بها الولايات المتحدة من الأزمة .. وكان هذا ماعرفت إسرائيل فيما بعد أنها ستدفع ثمنه غالياً ! ...

فمن المؤكد أن أحد أهم الدوافع التى كانت تجعل الولايات المتحدة تساند إسرائيل بكل ما تملك من أمكانيات هو إعتقاد الرأى العام الأمريكى أن إسرائيل تحمى المصالح الأمريكية فى المنطقة ... وقد أثبتت الأحداث لهذا الرأى العام أن إسرائيل لا تكفى لحماية المصالح الأمريكية ..!! أن هذا ليس معناه بالطبع أن تعادى الولايات المتحدة إسرائيل ولكن معناه الوحيد أن الأمور لن تسير كما سارت من قبل ولن تستمر الولايات المتحدة فى العطاء والمساندة والتأييد لإسرائيل بسبب أو بدون سبب ....!!

وإسرائيل تدرك هذه الحقائق الآن ولذلك فأن فرصة السلام مع العرب لابد من استغلالها فهى لن تضمن مستقبلا أن يستمر التأييد الأمريكى لها بنفس القوة التى كانت من قبل .. لن تضمن أن تنحاز لها الولايات المتحدة الأمريكية بالكامل إذا ما دخلت فى صراع مع العرب ....!! أن هذا لا يعنى زوال تأثير اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة ولكنه يعنى أن هناك عنصراً جديداً بدأ يدخل ضد هذا اللوبى وهو الرأى العام الأمريكى ورجل الشارع الأمريكى ... والذى أظهرت استطلاعات الرأى الأخيرة إن كان مع الرئيس بوش فى خلافه الذى أشتعل فجأة مع شامير ولكل هذه الأسباب يؤكد هذا السيناريو أن إسرائيل تريد بالفعل أن تتفاوض .... ولكنها لا تظهر هذه الرغبة ... بل أنها تظهر عكسها أحيانا . وهذا هو الأسلوب الإسرائيلى فى أدارة المفاوضات !

ولإسرائيل خبره سابقة فى ذلك فهى دخلت مفاوضات طويلة ومريرة مع مصر ... وقبل الدخول فى هذه المفاوضات وربما منذ أنتهت حرب أكتوبر مباشرة كانت إسرائيل تعرف أنها ستدخل مرحلة المفاوضات ... وكان السؤال الرئيسى الذى طرحته إسرائيل على نفسها هو مع من تتفاوض أياً كان الهدف من التفاوض ؟!

وقد استطاعت إسرائيل وقتها أن تحدد أجابة دقيقة ومحدده لهذا السؤال أما الإجابة فكانت مع مصر وحدها عن طريق هنرى كيسنجر أو مع هنرى كيسنجر وحده سبيلا أو طريقا إلى مصر (!!!!)

ولهذا تم تنحيت الأمم المتحدة من طريق هذه المفاوضات وحتى الاتحاد السوفيتى وجد نفسه مبعداً من المفاوضات التى تمت بين مصر وإسرائيل ... وانحصرت المفاوضات التى تمت بين مصر " وحدها " وإسرائيل " وحدها " وكيسنجر بين الأثنين ... وكيسنجر يمثل الولايات المتحدة... وسياسة الولايات المتحدة ـ الموالين لإسرائيل ! ...

وهكذا نجحت إسرائيل فى أن يكون المتفاوض أمامها هنرى كيسنجر والذى كان مفروض فيه أنه حكم يفصل فى الخلافات التى حتما ستندلع بين الطرفين ... مصر وإسرائيل طوال فترة التفاوض ... بل أكثر من هذا ! ...

فقد وجد هنرى كيسنجر نفسه يفاوض أطرافا كثيرة قبل أن يفاوض إسرائيل فهو فى الولايات المتحدة يتفاوض مع الجاليات اليهودية هناك ... وقد بذل هنرى كيسنجر بالفعل مجهودا كبيرا فى أقناع زعماء الجالية اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية بأن لن يعرض مصالح إسرائيل وأمنها ومستقبلها لأى خطر ...

ووجد نفسه يفاوض بعض أعضاء مجلس النواب والشيوخ فى الكونجرس الأمريكى المعروفين بموالاتهم لإسرائيل ... ومره أخرى حاول أقناعهم بأنه لن يعمل ضد إسرائيل !

وحتى البنتاجون الأمريكى أضطر كيسنجر أن يفاوضه لأن العسكريين الأمريكيين كانو مقتنعين بأن إسرائيل تمثل فى المنطقة خط دفاع قوى ضد الشيوعية وبالتالى فأنها تحمى المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بل أن كيسنجر دخل فى مفاوضات مع الرأى العام الأمريكى ـ من خلال وسائل الأعلام المختلفة ـ لإقناعه بأنه لن يضر إسرائيل ... ومعروف وقتها أن الرأى العام الأمريكى كان منحازاً بالكامل لإسرائيل هكذا نجحت إسرائيل فى أن تجعل من قضيتها قضية شخصية لهنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت ! ...

هذا هو أسلوبها ... !

ثم بعد ذلك وعندما بدأ كيسنجر مرحله التفاوض داخل إسرائيل نفسها فرض الأسلوب الإسرائيلى فى التفاوض نفسه على كيسنجر فكان عليه أن يتفاوض مع مستويات مختلفة كثيرة.

فهو إذا دخل فى المفاوضات مع رئيس الوزراء جولدا مائير فى ذلك الوقت فهى السيدة المريضة التى لا تستطيع أن تعطيه من وقتها أكثر من نصف ساعه ثم أنها تتحجج دائما بأن حزبها حصل على أغلبية ضئيلة ولذلك لا تستطيع أن تعد هنرى كيسنجر بالكثير ! ... وحتى إذا

اضطرت لأن تعده فهى تؤكد له أن القرارات الكبيرة والمصيرية تحتاج إلى الدعوة لانتخابات عامه لكى تستطيع بعدها أن تتحرك بحريه ! ..

فأذا تفاوض بعد ذلك مع مجلس الوزراء الإسرائيلى وجد كل وزير برأى مختلف عن رأى باقى الوزراء ... وحتى وهو يتفاوض مع الكتل والأحزاب وزعماء كان كل حزب له رأى وكل كتله لها أتجاه وكل زعيم كبر قدره أو صغر يفرض على كيسنجر أن يضع كل الإعتبارات لما يقوله لأنه يدرك أنه يستطيع أن يقم الدنيا ولايقعدها داخل الكنسيت ...

نفس الشىء حدث داخل وزارة الدفاع الإسرائيلى فعندما كان كيسنجر مع ديان يعرف ويدرك أنه مهما وصل معه إلى أتفاق فأن عليه أن يقنع باقى الجنرالات الإسرائيلية ... كل على حده ! ...

الخلاصة أن كيسنجر وجد نفسه يتفاوض داخل إسرائيل مع أكثر من طرف وعلى مستويات مختلفة .

وهذا جزء من أسلوب إسرائيل ! ...

ومن أسلوب إسرائيل أيضا أنها تبالغ كثيرا فى وصف ما تطلبه وما تعنيه هذه المطالب بالنسبة لها ومن أسلوبها أيضا أنها تترك دائما التفاوض فى التفاصيل لأشخاص ليس لهم صلاحية أتخاذ القرار ... أشخاص لا يجدون غضاضة إذا ما ول الأمر إلى مفترق الطرق أن يقولون للأسف نحن لا نملك القرار .... القرار فى هذه الحالة خارج حدود تفويضنا ونحن مضطرون للعودة إلى السلطة العليا .

وأبعد من هذا كله ... فأن أسلوب إسرائيل فى التفاوض يتضمن دائما الحصول على الثمن ... ليس فقط ثمن التنازل وأنما ثمن كل جمله وكل كلمه وكل حرف ! ..... ولا تنسى أن كيسنجر قال فى تبريره لحجم المساعدات العسكرية الأمريكيه لإسرائيل والتى كانت فى حدود ٢٣٠ مليون دولار أن هذا كان لازما لإقناع إسرائيل بقبول وقف أطلاق النار دون أن تشعر بأن أمنها ومستقبلها فى خطر ! ...

والأهم من كل هذا أن إسرائيل تلجأ بوسيلة أو بأخرى للحصول على تنازلات مسبقه من الأطراف المضادة ... أما بإظهار تعنتها إلى أقصى درجه ... وأما باللجوء إلى طرف ثالث يضغط بقوة فيحصل لإسرائيل على تنازلات مبكره .... ولأن التنازلات التى ستقدمها إسرائيل فعلياً على مائدة المفاوضات ستكون على الأقل مساويه للتنازلات التى سيقدمها الطرف الأخر

فانها فى هذه الحالة تضمن أن تقدم تنازلات قليله تتساوى مع الباقية للطرف الأخر بعد أن ترك معظمها قبل الدخول إلى حجرة المفاوضات ! ....

وهكذا كان أسلوب إسرائيل فى التفاوض من قبل وهكذا ـ يؤكد هذا السيناريو أنه سيكون أسلوبها فى مؤتمر السلام المزمع أقامته ... ليس لتشابه الظروف وليس لأن العرب أطرافاً فى التفاوض ضدها وأنما لأنه أسلوبها .

تماماً مثل لاعب الكره " الأشول " الذى يصوب الكره بقدمه اليسرى ليس لأن زاوية التصويب تحتاج أن يصوبها بقدمه اليسرى وأنما ببساطة لأن هذا هو أسلوبه ... طريقته الوحيدة التى يعرفها ! ...

وهكذا يمضى هذا السيناريو فى تصور ما سيحدث .....

وإسرائيل منذ البداية تحاول أن توحى لجميع الأطراف أنها غير راغبه فى المفاوضات وغير راغبه فى الجلوس على مائدة واحدة مع باقى الأطراف العربية للتوصل إلى السلام .... وهى تحاول أن تبالغ إلى أقصى درجة فى أظهار تعنتها ... وهذا من وجهة نظرها سيحقق أمران لا ثالث لهما ... فأما أن يؤدى هذا التعنت إلى أن يقبل الطرف الآخر تقديم بعض التنازلات "المسبقة " لإقناع إسرائيل بالدخول فى المفاوضات ويمكن أن يتم هذا بالضبط من طرف ثالث كالولايات المتحدة مثلا ... أو أن يؤدى موقفها المتعنت إلى الحصول على مزيد من المكاسب ... وفى كل الأحوال لم تخسر شيئا ..

وإبداء التعنت والرفض ليس بالضرورة أن يكون بطريق مباشر ... أى ليس بالضرورة أن تعلن إسرائيل أنها لا تريد الذهاب إلى مؤتمر السلام وأنما ببعض الممارسات التى يمكن أن تقنع الطرف الأخر بأنها لا تنوى الموافقة على مؤتمر السلام .

مثلا مبدأ الأرض مقابل السلام ... وهو بالتحديد المبدأ الذى يجب أن تتم من خلاله المفاوضات الخاصة بمؤتمر السلام يعنى أن العرب سيقدمون الأمن والسلام فى إسرائيل مقابل عودة الأرض ... ولكن ماذا تفعل إسرائيل ... تسارع ببناء المستوطنات على الأراضى التى تعلم ويعلم العالم كله أنها لابد وأن تعيدها إذا كان هناك أتفاقا على السلام .

ولا ننسى أنها فعلت ذلك من قبل عندما أقامت المستوطنات فى سيناء بينما كانت مباحثات السلام دائرة على قدم وساق ! ...

والذى تفعله إسرائيل ليس له معنى إلا معنى واحد عند الأطراف الأخرى أنها غير جاده فى

مشروع السلام .

ولكنها فى الحقيقة تريد الدخول فى مفاوضات وتدرك أن تغير الأوضاع الدولية والمتغيرات التى فرضتها حرب الخليج تستوجب منها الوصول إلى أتفاق سلام مع جيرانها .

وهكذا يؤكد هذا السيناريو أن إسرائيل ستدخل المفاوضات لكن بعد الحصول على بعض التنازلات المسبقة قبل بدء هذه المفاوضات ... وتعتقد أنها كلما زادت تعنتا كلما قدم الطرف الأخر مزيدا من هذه التنازلات وعلى طريقه إسرائيل وحسب أسلوبها فى التفاوض فأنها قد حددت مع من ستتفاوض ... أنها فيما يختص بالفلسطينيين مثلا ترفض تماما أن يكون من بين المتفاوضين الذين ستتفاوض معهم فلسطينى من خارج إسرائيل ... من خارج الأراضى المحتلة... وترفض أن تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وحتى الأسماء التى رشحتها الولايات المتحدةالأمريكية ـ من داخل الأراضى المحتلة ترفضها إسرائيل وذلك لتعاطفها مع منظمة التحرير الفلسطينية ... وأنها تريد أشخاصا محددين تضمن على الأقل تفهمهم الكامل لكل تعقيدات العقلية الإسرائيلية والشارع الإسرائيلى ... والتفكير الإسرائيلى ...!

وسوف تبدأ إسرائيل بعد تنحيت كل الأطراف التى تعلم أنهم سوف يؤثرون على مكاسبها وعلى حجم خسارتها ... لذلك سوف تبدأ إسرائيل بتحييد الأمم المتحدة عن طريق هذه المفاوضات ... وهذا يعنى ضمنا أن قرارات الأمم المتحدة والتى هى الأساس الوحيد والمقبول لأى مفاوضات لن يكون لها إعتبار عند بدء المفاوضات ...!

وسوف تتوه الأطراف الأخرى وهى تتفاوض مع إسرائيل ـ حسب الأسلوب والطريقة الإسرائيلية فلن يعرف المتفاوض الفلسطينى مثلا من هو صاحب القرارالنهائى ... هل هو أسحاق شامير ؟ هل هو وزير الدفاع الإسرائيلى ؟ هل هم أحزاب المعارضة الإسرائلية ؟

وسوف تجد الأطراف العربية نفسها مستغرقه فى التفاوض على كل شىء ... وحتى البديهيات ولن يكون غريبا أن تتفاوض إسرائيل مع سوريا مثلا ... ليس على الجولان وأنما على الحدود كلها ... ! وسوف يشعر الطرف العربى وهو يتفاوض مع الإسرائيليين بأنه يمضى فى طريق مسدود لأنه سيسمع كثيرا من يقول له : أسف لا أملك أتخاذ هذا القرار ولابد من سلطه أعلى ... ! وعندما يصل الطرف العربى إلى هذه السلطة " الأعلى " سيسمع منها أنها لا تملك أتخاذ القرار دون اللجوء " للقاعدة " أى انتخابات عامه تضمن تأييدها فى أتخاذ أى قرار

بالتنازل ... !

وسوف تنتهز إسرائيل الفرصة لكى تحصل من الولايات المتحدة على أكبر وأقصى ما تستطيع الحصول عليه، هذه هى تفاصيل السيناريو والذى يفترض أن إسرائيل سوف تبدأ أولا برفض التفاوض وبعد ذلك ستدخل المفاوضات بعد حصولها على تنازلات مسبقه من الأطراف الأخرى ومكاسب مناسبه من أطراف ثالثه ..!!

فإذا ما بدأت المفاوضات فأن إسرائيل ـ حسب أسلوبها ـ ستحاول قدر الإمكان أن تتنازل عن القليل جدا مقابل الكثير جدا وهذا فى حد ذاته مسأله مخيفه وخطيرة .

لكن الأخطر منه أن إسرائيل إذا ما لجأت إلى هذا الأسلوب فأنها بدخولها المفاوضات لن تصل إلى حل نهائى وشامل . ربما وصلت إلى حاله تشبه حالة " الهدنة " فى الحروب العسكرية ولكنها أبدا لن تحقق السلام الذى تتحدث عنه لأن عوامل الصرا ع بينها وبين العرب وأسباب هذا الصرا ع ستظل باقية وموجودة .

وطالما كانت هناك أسبابا : فسوف تكون هناك نتائج (!!!) .

السيناريو الثالث

قطار السلام يسير إلى منتصف الطريق ...!

لن يكون هناك سلام .!! إسرائيل لاتريد السلام ..!! إسرائيل لم تريد السلام ..!!

إسرائيل تعتمد فى وجودها على خلق حالة من التوتر ... وحاله من الحرب المستمرة ..!! وتعلم وتدرك أن السلام يعنى فى النهاية نوبان كيانها فى كيان أكبر وأوسع .. يحيط بها من جميع الجوانب ... ، ولذلك تتحرك إسرائيل خطوة جدية واحدة نحو السلام ..! حتى لو وافقت على حضور مؤتمر السلام ..!حتى لو دخلت فى مفاوضات ثنائية ومباشرة مع الأهداف العربية وتحت مظلة ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية .. فهى تعلم تماما كيف يمكن أن تستخدم نفسها فى عرقلة كل شىء ..!! إسرائيل تعلم أنها تدخل وتوافق على حضور مؤتمر السلام ، الذى تعلم مقدما أنها لن تمضى فى طريقه ..!! وأن كل منا ورائها محاولة تعليق الفشل على أطراف أخرى ..! ثم تحاول بعد ذلك تجميد الموقف ووضعه فى " الثلاجة " ..!! مستغله الدخول فى مرحلة الانتخابات التى أصبح العالم كله يدرك ويعلم أن أحداً فى الإدارة الأمريكية أو الإسرائلية لا يستطيع خلالها أن يتخذ أى قرار .!!

هذا هو ملخص السيناريو ... والذى يمكن تصور حدوثه خلال الفترة القليلة القادمة ..

ولعله يتبين لنا من خلال هذا السيناريو أن السياسة التى تنتهجها إسرائيل ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الاستيطان والهجرة هى أكبر دليل على أن إسرائيل لا تريد ولا تحتاج ولا ترغب فى السلام ..!!

أن السلام يعنى أن تقبل بمبدأ " الأرض مقابل السلام " وأن تعيد الأرض مقابل السلام .. ولكن السؤال هو :

أى أرض تعيدها إسرائيل إذا كانت بالفعل قد " ابتلعت " منها جزء وتحاول ابتلاع الجزء المتبقى ..!؟

أن أحد الباحثين الإسرائيليين . وهو من أحد كبار علماء الاجتماع فى إسرائيل ويدعى "ميرون بنفستى " قد كشف بنفسه عن حقائق مذهله عن سياسة الاستيطان الإسرائيلى .. أو سياسة ابتلاع الأراضى العربية المحتلة ..!

فإسرائيل أو سلطات الاحتلال الإسرائيلى سطت بالفعل على ٥٢ ٪ من أراضى الضفة الغربية المحتلة ـ بما فى ذلك القدس ، وعلى ٤٩ ٪ من أراضى غزة ، وذلك عام ١٩٦٧ ، وحتى عام ١٩٨٦ .. ، وهى بالفعل صادرت ٥٠١ كيلو متر مربع من الأراضى الفلسطينية فى فترة وجيزة جدا لم تتجاوز ٤٢ شهرا ، وهى الفترة من يناير ١٩٨٨ وحتى يونيو ١٩٩١ .

ويشير الباحث الإسرائيلى " ميرون بنفستى " إلى أسلوب إسرائيل فى الاستيلاء على هذه الأراضى فيقول : أنها تكتفى بالإعلان عن آن هذه الأراضى ... أملاك عامة ... وهذا يعنى أنها تقدم فورا مصادرة هذه الأراضى .!!

ويؤكد الباحث الإسرائيلى أن إسرائيل أو سلطات الاحتلال الإسرائيلى جاده تماما فى سياسة الاستيطان والاستيلاء على الأراضى وابتلاعها بدليل أن عدد المستوطنين اليهود فى القدس وحدها أرتفع فى عام واحد بنسبة ١٤ ٪ فقبل عام ١٩٩٠ كان عدد المستوطنين اليهود مائة وسبعة وعشرين ألفاً << !! فما الذى يعنيه توطين ستة عشرة ألف مستوطن فى عام واحد ..؟! أن لم يكن أصرارا على ابتلاع الأرض ..؟!! فإذا وضعنا فى الإعتبار " أربيل شارون " المعروف بمواقفه المتشددة والمتصلبة ..! يتولى بنفسه مسئولية وزير الأسكان ، ومن ثم فهو المسئول الأول عن عمليات بناء المستوطنات وبناء الوحدات السكنية فى الأراضى المحتلة ..!!

إذا أخذنا كل ذلك فى إعتبارنا . لأمكننا بمنتهى السهولة أن نتصور مدى حرص إسرائيل على تاكيد سياستها وفرضها كأمر واقع ..!! فشارون .. يؤكد أن عمليات الاستيطان فى الأراضى المحتلة ستتسارع حتى نهاية عام ١٩٩٢ وسيكون حتى هذا التاريخ قد تم بناء ثلاثة عشر ألف وحدة سكنيه داخل الأراضى المحتلة ..!! وهذا الرقم كما يشير الباحث الإسرائيلى المذكور .. يعنى وجود أماكن لتوطين نحو خمسين ألف يهودى جديد ..!!

والحكومة الإسرائلية كلها .. وليس " أربيل شارون " وحدة تبارك هذه السياسة وتعلن دوما عن تأييدها فى أطار مشروع أستيطان ضخم يكفى لاستيطان مئات الآلاف من اليهود ..!

أن " شارون " لم يعد يخفى أهدافه الحقيقية والتى يتفق فيها معه كل أعضاد الحكومة الإسرائلية .. القدس الكبرى التى ستضم مليون يهودى .. فهى عاصمة إسرائيل وعاصمة اليهود .. عاصمتها الأزلية ..!! وهو لا يكتفى بتقديم أمال أو أحلام ، وأنما هو بالفعل قد بدأ فى تنفيذ مشروع يتضمن بناء ٢٢ ألف وحدة سكنية فى القدس ، و١٤ ألف وحدة سكنية فى القدس الشرقية ، وهو يقبل مشروعه لابتلاع القدس نهائيا جزء من مشروع أكبر .. وهو أرض

إسرائيل الكاملة ..

وتتوقع الحكومة الإسرائيلية أن يصل إلى إ«إسرائيل مع نهاية عام ١٩٩٢ حوالى ٢ مليون مهاجر سوفيتى، ولذلك تسارع الحكومة الإسرائيلية بالإعلان عن قرار قديم لها صدر عام ١٩٨٣ بإقامة ٢٠ مستوطنة يهودية فى الأراضى المحتلة ويتضمن هذا القرار ـ من وجهة نظر "شارون" بناء ١٠٠ ألف وحدة سكنية الأمر الذى سوف يصل فى النهاية بسكان إسرائيل إلى أربعة أضعاف عددهم الحالى الذى لا يتجاوز حتى الآن ٣ ملايين نسمة .

والغريب فى الأمر أن سياسة إسرائيل الإستيطانية كانت وحتى وقت قريب سياسة غير معلنة . تتكتم أخبارها وأنبائها وتفاصيلها الحكومة الإسرائيلية بكل الحرص .. وكان من النادر أن يحاول أحد الوزراء الإسرائيليين الإشارة إلى مخططات إسرائيل فى هذا الشأن ..! لأن إسرائيل كانت تدرك بوضوح أن الإعلان عن هذه السياسة سوف يثير ضدها الكثير من الإعتراضات الدولية .. ولكنها الآن لاتجد أى حرج فى الإعلان بكل وضوح .. و"وقاحة" !! عن تفاصيل سياستها وعن عزمها بشأن عدم التخلى عن هذه السياسة أيا كان الثمن .. !!

والأكثر غرابة .. أن إ«إسرائيل فور إعلانها الموافقة على الاشتراك فى مؤتمر السلام المزمع عقده خلال الشهرين القادمين قامت بالفعل بتوطين ٦عائلات يهودية فى مستوطنات الأراضى المحتلة .. وكانت هذه العائلات الست مجرد بداية لـ ٤٠٠ عائلة أخرى !! حدث هذا عقب الإعلان مباشرة عن موافقتها حضور مؤتمر السلام .. وهى تعلم وتدارك أن مجرد موافقتها على ذلك يعنى موافقتها على مبدأ الأرض مقابل السلام فما هو المعنى بذلك لسلام تحصل عليه مقابل أرض تعلم أنها لن يستطيع أعادتها ..؟!

وهكذا يصور هذا السيناريو أن قصة السلام التى تتحدث إسرائيل عن موافقتها للاشتراك فى صياغتها .. قصة وهمية .. لا تعدو أن تكون سراب .

إسرائيل منذ اللحظة الأولى ماضية فى تنفيذ هذا المخطط ..! إن أهم أو المشاكل .. والتى تواجه مؤتمر السلام .. بل وأخطرها على الإطلاق هو تحديد الأطراف التى يمكن أن تشارك فى هذا المؤتمر ..!

وإسرائيل ومن قبلها الولايات المتحدة الأمريكية والعالم كله يدركون أن عدم اشتراك الفلسطينيين فى هذا المؤتمر يعنى عدم الوصول إلى تحقيق نتائج حقيقية .. شاملة ... بل أن انعقاد مؤتمر مستبعد منه الفلسطينيون أمر لا يتفق مع أى منطق ..!!

ومع ذلك فقد أثارت إسرائيل ومنذ اللحظة الأولى قضية ومشكلة التمثيل الفلسطيني .. فهى لا تريد فلسطيني من خارج الأراضى المحتلة .. لا تريد أن تتفاوض معهم بشكل أو بأخر .. وحتى العناصر الموجودة داخل الأراضى المحتلة من الفلسطينيين يجب أن يكونوا على غير علاقة بشكل أو بأخر بالموجودين فى الخارج ..!! وخاصة المنظمة .. منظمة التحرير الفلسطينية..!!

ومنظمة التحرير هى الممثل الشرعى والرسمى للفلسطينيين سواء خارج فلسطين المحتلة .. أو داخل فلسطين المحتلة .. ومع ذلك فهى مستبعدة تماماً .!! وقد وصل الأمر إلى حد أن سلمت المنظمة .. باستبعادها هذا ..!!

لكن على الأقل يجب أن يكون هناك حد أدنى ..!! فالمنظمة مستعدة للدخول فى وفد مشترك مع الأردن فى حالة حصولهما على ضمان من الولايات المتحدة الأمريكية بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة ..!!

ومنظمة التحرير الفلسطينية مستعدة للدخول فى وفد مشترك مع الأردن فى حالة توجيه الدعوة اليها .. وليس تجاهلها .!! مسألة الأشخاص والأسماء وكونهم من داخل الأراضى المحتلة أو من خارجها .. مسألة قد لا تؤثر كثيراً على قرار المنظمة بالاشتراك فى مؤتمر السلام .. ولكن المهم هو توجيه الدعوة إليها ..!! لأن عدم توجيهها للمنظمة والاقتصاد على توجيهها للأردن ـ مع السماح بأن يضم الوفد الأردنى ممثلين لفلسطينيين ـ يعنى فى النهاية أن المصالحة والتسوية لن تكون بين الأطراف الثلاثة .. إسرائيل والأردن والفلسطينيين .. وانما ستكون بين إسرائيل والأردن فقط ..!!

أن الفلسطينيين يدركون تماماً أنهم يواجهون الآن واقعاً جديداً واقعا يفرض عليهم بعد خلافات كثيرة بشأن "الزعامة" وحول "فصائلهم" وبخصوص " مواقفهم من أزمة الخليج " ..!!

يدركون أنهم لابد وأن يتجاوزا هذه الخلافات للاشتراك بسرعة فى عملية السلام .. وهم يعلمون قبل غيرهم أن أى تعويق لعملية السلام يعنى إستمرار السياسة الإسرائيلية الخاصة بالاستيطان وبابتلاع أراضيهم ..!

والفلسطينيون من خلال هذا الواقع الجديد يدركون أن النظام العالمى الجديد الذى نصب الولايات المتحدة الأمريكية " الزعيم الأوحد والقائد الوحيد " يمكن أن يزداد سوقه فيما لو نجحت الولايات المتحدة فى تحقيق سلام شامل فى المنطقة يعيد الفلسطينيين حقوقهم الضائعة

.. !! ولذلك فهم يحاولون أقناع الولايات المتحدة بشروطهم وأهمها ضمانات متعلقة بحق تقدير المصير ومشكلة القدس ومشكلة المستوطنات الإسرائيلية ثم التمثيل الفلسطيني بعد ذلك فى مؤتمر السلام ..!!

واللقاءات بين فيصل الحسيني والدكتورة حنان عشرواى - والإثنان من ابرز الشخصيات الفلسطينية التى أجرت اتصالات مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال وزير خارجيتها چيمس بيكر، وبتكليف وتفويض من منظمة التحرير الفلسطينية ..!! هذه اللقاءات هى محاولة مقنعة للعالم كله بأن الفلسطينيون هم أول الذين يبدأون .. أو سيخطون الخطوة الأولى على الطريق الصعب الطويل، وانهم سيكونون أكثر الأطراف جدية فى التعامل مع عملية السلام .. وبعقل متفتح وإرادة قوية ..!

وإذا كان هذا هو نهج ومنهج القيادات الفلسطينية الآن .. فأن الذى تفعله إسرائيل وتحاوله وتعلن عنه هو محاولة لتقويض مؤتمر السلام .. أو على الأقل زرع بذورر الفشل .. فما لو قدر لهذا المؤتمر أن ينعقد .. !!

والذى تفعله إسرائيل الآن هو التزام حرفى بنص هذا السيناريو، والذى يفترض أن إسرائيل ستسعى من خلاله .. قبل انعقاد المؤتمر وأثناء انعقاده لأفشال وإعاقة كل الجهود الرامية لتحقيق سلام شامل وعادل ..!

وأول ما فعلته إسرائيل هو الدخول فى مواجهة صريحة وواضحة مع الولايات المتحدة الأمريكية .. أو مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية چورج بوش..!!

ولعلها المرة الأولى فى تاريخ العلاقات بين الدولتين التى تصل فيها الأمور إلى هذا الحد ..!!

وليس من قبيل المبالغة، نقول أن الخلاف حول ضمانات القروض - والتى تبلغ قيمتها عشرة مليارات دولار انما يمثل تهديداً حقيقياً لجهود السلام فى المنطقة ..!

أن سيناريو هذا الخلاف - بين إسرائيل والولايات المتحدة - يوضح إلى حد كبير الجهد الهائل الذى تبذله إسرائيل فى الاتجاه المعاكس والمضاد للسلام ..!

فبعد أن طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من إسرائيل أن تؤجل مسألة القرض إلى يناير ١٩٩٢، فإن إسرائيل أبدت استعدادها للانتظار بشرط ألا تكون هناك شروط من الولايات المتحدة الأمريكية - والولايات المتحدة لا توافق على أن تكون هذه المعونة أو القرض بغير شرط يتعلق بقضية الاستيطان ..!!

وتقول الولايات المتحدة على لسان وزير خارجيتها جيمس بيكر "انها لن تستطيع أن بذر سواء لأنفسنا أو للأطراف الأخرى فى عملية السلام منح مبلغ قدره عشرة مليارات دولار . دون قيد أو شرط " ..!!

وليس هناك شك فى أن الموقف الأمريكي تجاه ضمان قروض الاستيطان الإسرائيلى قد عزز كثيراً من مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية وأكد تصميمها الواضح على ضرورة تحملها لمسئولياتها تجاه قضية السلام فى الشرق الأوسط، خاصة بعد أن تفاقمت الأوضاع الدولية بشكل حاد ومؤثر .. واصبحت الولايات المتحدة منفردة تقريباً بزعامة العالم وتحكمها فى تحديد مثاره ...! واسحاق شامير ادراك منذ البداية أن الموقف الأمريكى فى غير صالحه، ولذلك سارع بتصعيده *ليصل إلى حد المواجهة* بهدف *إجبار الرئيس الأمريكى* چورچ بوش *على التراجع* عن قراره ...، مستخدماً فى ذلك كل الإمكانيات المتاحة أمامه من ضغوط ونفوذ تزايد ضخم لجماعات الضغط اليهودى داخل الولايات المتحدة ..!! والرئيس الأمريكى من ناحيته قبل المواجهة وقبل التحدى وسارع بتصعيد الخلاف إلى الرأى العام الأمريكى .. وبأى منطق فأن حسابات إسرائيل كانت خاطئة هذه المرة ..!!

فإسرائيل تتصور أنها مازالت قادرة على أقناع الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة والغرب بصفة عامة بأنه لا زال لها دور وأهمية فى المنطقة .. مع أنها تعلم أن هذا الدور قد بدأ يتلاشى بالفعل نتيجة المتغيرات الدولية الأخيرة والمتمثلة فى التطورات السريعة والمتلاحقة التى حدثت فى الإتحاد السوفيتى، ومن قبله الكتلة الشيوعية كلها ..!! فهل من المعقول بعد سقوط كل هذه القلاع الحصنية أن يكون لإسرائيل دور فى حماية المنطقة من الشيوعية أو من المد الشيوعى ..؟!!

وإسرائيل لا تعلم أن حرب الخليج جعلت الإدارة الأمريكية موقنة من أن إسرائيل لم تفعل شيئاً خلال هذه الأزمة ببساطة لأن مصالح إسرائيل لم تعد هى مصالح أمريكا ..!! والعكس صحيح ..!!

وقد ظلت إسرائيل طويلا تروج لرجل الشارع الأمريكى والرأى العام الأمريكى، بل وصانعى القرار الأمريكى .. للدور الخطير الذى تلعبه فى المنطقة لحماية مصالحهم ثم تجىء حرب الخليج أو تهب عاصفة الخليج .. لتؤكد للجميع أن هذا غير صحيح وأن إسرائيل لم يكن فى وسعها أن تفعل أكثر من الصمت المرير ..!

وإسرائيل لم تضع في حساباتها أن السلام المصرى ـ الإسرائيلى استطاع أن يؤكد نفسه سنوات طويلة ..! ولعل السؤال الذى يفرض نفسه بالحاح على العالم كله، وعلى الرأى العام الأمريكى هو: المانع فى تكرار هذه التجربة ..؟ تجربة السلام المصرى ـ الإسرائيلى ..؟! ثم أن العرب ـ بما فيهم منظمة التحرير الفلسطينية ـ قد استطاعوا أن يثبتوا للعالم كله أنهم الطرف الجاد بالنسبة لرغبتهم فى السلام .. بل أن رغبتهم الحقيقية فى الوصول إلى سلام شامل وعادل قد قصمت أمام العالم كله النوايا الخفية لإسرائيل .. والتى بات العالم يعتقد ـ بما فى ذلك الشارع الأمريكى ـ أنها لا ترغب حقيقة فى السلام ..!

ولا ننسى بعد هذا كله أن الانتفاضة الفلسطينية والممارسات الوحشية الإسرائيلية تجاه هذه الانتفاضة التى استمرت سنوات طويلة قد قبلت تعاطف الرأى العام العالمى مع إسرائيل بدرجة أو بأخرى .. فالرأى العام العالمى يميل عادة للتعاطف مع الطرف الأضعف، ويميل عادة لاتخاذ موقف الطرف الأقوى ..، وهذا تماماً ما اعتمدت عليه إسرائيل لسنوات طويلة بتصوير نفسها ضحية لمجتمع همجى قوى متخلف كل أهدافه أن تبلع إسرائيل ..!!

اليوم تغيرت المواقف وتبدلت واصبح العالم موقن من أن الصورة لم تكن بهذا الشكل وبات ضمير العالم مثقلا بهجوم هؤلاء الذى لا يزالون يصرون على المضى فى انتفاضة يلمون قبل غيرهم انها غير متكافئة ..!

هكذا أخطأت إسرائيل .. وكذا أخطأ شامير .وهو يصعد الخلاف بينه وبين الرئيس الأمريكى چورج بوش ..

ولقد كان من الطبيعى بعد أن فرض اسحاق شامير على الرئيس الأمريكى چورج بوش هذه المواجهة أن يسارع بوش بالاتجاه إلى رجل الشارع الأمريكى. وإلى الرأى العام الأمريكى ليحكمه فى مسلك اللوبى اليهودى داخل الولايات المتحدة وهو يدزك أن الرأى العام الأمريكى لن يسمح بهزيمة للرجل الذى نجح فى قيادة تحالف دولى متعد لن يسمح بأن يكون الرجل الأقوى فى العالم عاجز أمام قيادة إسرائيلية متعصبة ..!!

ولكن كيف أخطأت إسرائيل الحساب بهذا الشكل ..؟! فكيف أخطأ اسحاق شامير الحساب لدرجة تصعيد الموقف مع الرئيس الأمريكى إلى هذا الحد الخطير ..؟!

فى الواقع أن اسحاق شامير اعتمد فى هذه المواجهة على ضمان اكتمال أزرع الأخطبوط الصهيونى الذى زرعته إسرائيل فى الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة، والذى أصبح بأذرعه

العديدة والمتفرقة والمتشعبة داخل كل ولاية أمريكية ..!! وشامير يعلم أن هذا الأخطبوط هو الذى يتحكم فى كل انتخابات تجرى داخل الولايات المتحدة الأمريكية .. يتحكم فى أنجاح الذين يوالون إسرائيل بالعطف والعناية والمساندة، ويهدد الذين يقفون ضدها ..!

كان شامير متاكدا من أن اخطبوطه يستطيع أن يحسم له أى خلاف مع الإدارة الأمريكية .. ولصالحه ..!!

قبل وجود هذا الأخطبوط .. وقبل توسع لجان العمل السياسى النووى لتتمثل كل ولاية أمريكية لم ينجح اللوبى اليهودى فى التصدى للإدارة الأمريكية فى معركة "الأواكس" التى أقرها الكونجرس الأمريكى لصالح المملكة العربية السعودية ..!! ومن أجل ذلك يعرف إستراتيجية العمل اليهودى وظهرت على السطح نظرية الأخطبوط اليهودى داخل المجتمع الأمريكى .. !! وذلك بعد أن اللوبى اليهودى غير كاف لضمان تحقيق رغبات إسرائيل ..!! وهكذا اتخذ شامير قرار المواجهة مع الرئيس الأمريكى موقفا أو متأكدا من أن الأخطبوط اليهودى داخل الولايات المتحدة الأمريكية سيمده بكل عون ممكن ..!! لكن الذى لم يحسبه شامير .. أو لم يضعه فى اعتباره .. هو مايتمتع به بوش من تأييد قوى لرجل الشارع الأمريكى وللرأي العام الأمريكى بعد مواقفه الأخيرة من أزمة الخليج ..!!

الأهم من كل هذا أن شامير اصبح موقناً من أن فوزه فى معركة المواجهة والمجابهة مع الرئيس الأمريكى چورچ بوش تعنى هزيمة مؤكدة على المدى الطويل له ولإسرائيل و لجماعات الضغط اليهودى داخل الولايات المتحدة الأمريكية ..! فالإنتقاد المؤقت الذى يمكن أن يحققه عناد شامير الآن سيتحول إلى هزيمة دائمة على المدى البعيد ..! فالشارع الأمريكى لن ينسى لليهود .. ولإسرائيل .. ولجماعات الضغط الصهيونية انتقادها على رجل بات يستحوذ على جزء كبير من مشاعرها ..!! والشارع الأمريكى والرأى العام الأمريكى سوف يكتشف حقيقة مذهلة ـ بالنسبة له ـ وهى أن الولايات المتحدة بكل قوتها وزعامتها لا تستطيع أن تدبر سياستها، وأنما تتولى هذه المهمة دولة أخرى صغيرة .. وهى إسرائيل ..!!

ولاشك أن اسحاق شامير يدرك هذا جيداً، ويدرك أن هزيمته فى هذه المجابهة مع چورچ بوش أو انتصاره ليس لهما ألا نتيجة واحدة .. هزيمة قاسية على المدى الطويل ..!! من أجل ذلك تحاول إسرائيل الآن وبسرعة .. أن " تلم " الموقف وتمنع تفجره ..!!

ومن أجل ذلك يؤكد هذا السيناريو أن الأزمة التى تفجرت فجأة بين إسرائيل والولايات

المتحدة الأمريكية سوف تنتهى فجأة ..!! ولن تمنع إسرائيل من إعلان موافقتها على الإشتراك فى مؤتمر السلام مادامت تستطيع أن تصل إلى أهدافها على " مائدة المفاوضات " ..!!

وأهم أهداف إسرائيل ألا يتحقق السلام .. وإذا كانت الظروف سوف تفرض عليها أن تشارك فى مؤتمر لا تريد الأشتراك فيه فعلى الأقل سوف تسعى جاهدة لعرقلة كل الجهود الممكنة أثناء انعقاد المؤتمر وعلى مائدة المفاوضات .. بل أنها سوف تسعى إلى نسفها .. نسفاً ..!! ،لكن كيف ؟! هل باثارة مشكلة التمثيل الفلسطينى ..؟!

أن إسرائيل تعلم جيداً أن كل ما أثارته وكل ما يمكن أن تثيره بشأن هذه المسألة لن يصلح سبباً لنسف الجهود العربية والدولية من أجل انعقاد مؤتمر السلام ..!!

تعلم أن الفلسطينيون قد اختاروا أن يكونوا جزءا من النظام العالمى الذى يؤيد الحلول السلمية للنزاعات الإقليمية ..! بل أن الفلسطينيون الآن ينتقدون اتجاهات بعض الزعماء الفلسطينيين الذين يعلنون عن عدم موافقتهم على حضور مؤتمر السلام .. وقد وصل الأمر إلى حد أن جورج حبش المنتمى للجبهة الديمقراطية الفلسطينية وأكثر المتشددين والمعارضين لفكرة أنعقاد المؤتمر ـ قد اعلن بصراحة أنه ليس ضد المؤتمر من حيث المبدأ ..! ولكنه ضد الوضع القائم الآن والذى يجعل المشاركة فى المؤتمر عملية استلام وليس سلام ..!! وعملية تصفية للقضية الفلسطينية ..!!

ثم أن فاروق قدومى رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية قد اعلن بالفعل أنه يدرك أن الفلسطينيين يعلمون أنهم سوف يحصلون على الحد الأدنى من حقوقهم وهم يوافقون على المشاركة فى عملية السلام .. ولكنهم ماضون فى طريقهم رغم هذا ...!

فهل ستكون مشكلة الضمانات الكافية التى يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية لانسحاب إسرائيل ..؟!

أن هذه الضمانات لا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية تقديمها للفلسطينيين أو الأردنيين أو السوريين أو اللبنانيين ألا بالتفاوض مع إسرائيل ..!! ألا بعد أن تحصل من إسرائيل على وعد حقيقى بانسحابها فيما لو نص قطار السلام فى طريقه ..!!

فهل ستتمتع إسرائيل عن تقديم هذا الوعد للولايات المتحدة الأمريكية ..؟! وهل سيصل التفتت الإسرائيلى إلى هذا الحد ..؟!

وأن كان هذا السيناريو قد يفرض تصورا بأن هذا الفرض لا يتفق مع المنطقة ولا حتى مع

خطة إسرائيل التى لا تريد أن تخرج بمكسب واحد .. وهو عداء المجتمع الدولى كله لها .. ولذلك سوف تضع إسرائيل هذا الوعد للولايات المتحدة الأمريكية .. صحيح سوف تكون هناك تحفظات كبيرة من جانبها، وسيكون هناك خلاف على "أراضي" أو "الأراضي" (!!!) وستكون هناك مناورات فوق "المائدة" وأسفل "المائدة" !! من أجل أن تبدو إسرائيل أمام الولايات المتحدة وأمام العالم كله وقد قبلت مبدأ الانسحاب ..!! لكن الانسحاب من أى أراضي ..؟! وهل ستنسحب من كل الأراضي ..؟! هذه هى المشكلة التى سيتم تأجيلها حتى يبدأ المؤتمر ..!! وهى مشكلة على أى حال لن تتسبب فى عدم انعقاد مؤتمر السلام .. لأنه مادامت الولايات المتحدة الأمريكية قد حصلت على وعد بالانسحاب فأن مناقشة التفاصيل مسألة تداول بعد ذلك فى للمفاوضات الثنائية ..

وإذا كانت حجة الفلسطينيين، وحجة الأطراف العربية هى ضرورة الحصول على ضمانات أمريكية بانسحاب إسرائيل فسوف تبطل إسرائيل فى النهاية هذه الحجة وتقدم وعداً بانسحاب تعلم قبل غيرها أنها لن تنفذه ..!

المشكلة أذن لن تكون مشكلة التمثيل الفلسطينى، ولن تكون مشكلة الضمانات الأمريكية بانسحاب إسرائيلى ..!!

ولكن المشكلة ستكون مشكلة المستوطنات وسياسة الاستيطان الإسرائيلى .. سياسة ابتلاع الأراضي العربية التى تسعى إليها إسرائيل وهذه المشكلة لن تتفجر قبل المؤتمر ..، وبالتالى فهى لن تعطل قيام قطار السلام ..! هذه المشكلة ستتفجر على مائدة التفاوض ..وستكون السبب الرئيسى الذى من أجله سيتوقف القطار فى منتصف الطريق ..!!

وإسرائيل تعلم أن بناء المستوطنات ليس مجرد عقبة أمام جهود السلام فحسب ..! بل أنها تعلم أيضاً أنه عمل غير شرعى لا يتوافق ولا يتفق مع قرارات الأمم المتحدة ومع القرار رقم ٢٤٢ بالتحديد ...، بل أنه عمل تعلم إسرائيل أيضا أنه لا يتفق مع أحكام إتفاقيات "كامب ديفيد" وأكثر من هذا فإسرائيل تعلم أن استمرارها فى سياسة الاستيطان وابتلاع الأراضي العربية معناه الوحيد أنها ترفض ضمناً "الأرض مقابل السلام" وهو المبدأ الوحيد الذى يمكن أن يقبله العرب والفلسطينيون كأساس للتفاوض .. فاذا ما رفضت إسرائيل هذا المبدأ ــ ولا ننسى أنها لم ترفضه "علانية" فهى لم تعلن أبدا طرحة وبوضوح انها ترفض مبدأ "الأرض مقابل السلام" لكن رفضها يمكن أن يتحقق بشكل آخر .. بإستمرار سياسة الاستيطان وابتلاع

الأراضي ..!

وهكذا ستكون هذه المشكلة سبباً فى تحطيم مسيرة السلام وتعطيل جهوده ..! وهذا ما تريده إسرائيل ..!

وهكذا يمضى هذا السيناريو فى وضع اللمسات الأخيرة له وحسب ما يحويه من تصور فأن مشكلة الاستيطان وابتلاع الأراضي .. والقدس الشرقية بالطبع . ستكون سبباً فى توقف المفاوضات الإسرائيلية مع الجانب العربى ..!!

وحتى هذا التوقف لن يكون صريحاً من الجانب الإسرائيلى ..!

فبحساب عامل الوقت ستكون الانتخابات الإسرائيلية على الأبواب ومن قبلها الانتخابات الأمريكية ..!!

السيناريو الرابع
التاريخ يكرر نفسه ..!!

كان معنى التصريح مذهلا ..!!

أما التصريح فقد جاء على لسان مسئول سورى كبير أعلن من خلاله أن سوريا على استعداد لتحجيم قواتها العسكرية بشرط الوصول إلى اتفاق سلام شامل مع «إسرائيل فى إطار مؤتمر السلام الذى سبق وأن أعلنت سوريا عن استعدادها للاشتراك فيه ...!

والمعنى الحقيقى لهذا التصريح أن سوريا قد طلب منها تخفيض حجم قواتها العسكرية .. ولابد أن الذى طلب هذا هو إسرائيل ..!! ولابد أن هذا الطلب قد نقل إلى سوريا عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية وإلا ما الذى جعل المسئول السورى يقول هذا الكلام ..؟!

وكل هذا حدث ويحدث من خلال الجهود التى يقوم بها جيمس بيكر، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، الذى يحاول بالطبع أن يقول لكل طرف من الاطراف .. الطرف الأول العربى .. والطرف الإسرائيلى .. رؤية الطرف الآخر ومطالبه ..!!

تخفيض القوات العسكرية السورية أذن مطلب إسرائيلى ..! ولكن هل من المنطق أن نتصور أن إسرائيل وحدها هى صاحبة هذا الطلب ..؟!

إن طلبا مثل هذا يرقى إلى مرحلة الشرط ..!! شرط إسرائيل لحضور مؤتمر السلام لايمكن أن يكون مسألة منطقية لأن إسرائيل تعلم أن سوريا لايمكن أن توافق بأى حال من الأحوال على شرط مثل هذا ــ فإذا حل السلام فأنها من تلقاء نفسها لن تجد حاجة لكل هذا الحجم الكبير من قواتها العسكرية التى تحتفظ بها ..!

فما هو أذن معنى هذا الطلب ..؟! ما هو معنى أن يطلب هذا من سوريا ؟! ومعنى أن توافق سوريا على تنفيذه بشرط السلام الشامل ..!! المعنى الوحيد والممكن هو أن هذا الطلب انما هو طلبا أمريكياً .. وليس طلباً إسرائيلياً فحسب ..!!

الولايات المتحدة تريد أيضاً من سوريا تحجيم قواتها وتخفيضها .. وإسرائيل من مصلحتها بالطبع أن تحقق سوريا هذا الطلب أو تنفيذه .. لأنها تعلم وتدرك أن هناك حرب قادمة .. لا **محالة .. مهما طالت الأيام ..!!**

أن هذه الحرب هى المحور الأساسى لهذا السيناريو، والذى يفترض أن مؤتمر السلام

سينتهى إلى حاله تشبه حالة اللا سلم واللا حرب التى مرت بها المنطقة قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .. ويفترض هذا السيناريو أيضاً أن هذه الحالة سوف تستمر سنوات محددة يشتعل فيها الصراع مرة أخرى بين العرب وإسرائيل .. أو بالتحديد بين سوريا وإسرائيل ...!!

وأسباب هذه الحرب كما يتصورها أو يصورها هذا السيناريو تنحصر فى مجموعتين رئيسيتين .. تتعلق مجموعة منها بإسرائيل .. أما المجموعة الثانية فتتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية ..

وبالنسبة لإسرائيل فإن الحرب ستكون استمرار إسرائيل فى احتلالها للجولان والأراضي السورية الأخرى التى تحتلها الآن، واستمرار حالة اللا حرب واللا سلم بعد فشل مؤتمر السلام فى إيجاد أى حل معقول ومقبول .. والشعور باليأس من الجانب السورى لفشل جهود السلام ..!! ثم إستمرار إسرائيل فى سياستها الخاصة بالاستيطان وابتلاع الأراضى العربية، ورغبتها فى التوسع بعد زيادة معدلات الهجرة إليهما خصوصاً من الإتحاد السوفيتى ..!! المياه والتى سيكون الصراع عليها هو صراع القرن القادم بصفة عامة ..!!

أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فانها يمكن أن تدخل حرباً أخرى – على غرار حرب تحرير الكويت – فى منطقة الشرق الأوسط حماية لمصالحها الشخصية .. وستكون الحرب هذه المرة بالدرجة الأولى موجهة ضد سوريا ..!! ويمكن أن تكون هذه الحرب من خلال إسرائيل بهدف تحطيم آلة الحرب السورية ...!!

وفى كل الأحوال يعتمد تحقيق هذه الإفتراضات على حدوث متغيرات أولية تؤدى إليها ..!!

وقد يبدو معقولا ومنطقياً – ما دامت جهود السلام قد فشلت أن ينشب صراع عسكرى بين الأطراف العربية وبين إسرائيل .. أو بين سوريا على وجه التحديد وبين إسرائيل ..!! لكن ما هى مبررات دخول الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه اللعبة ..؟! وكيف يمكن أن تهدد سوريا المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ..؟!

إن الإجابة على هذا السؤال فى الواقع تتطلب منا أن نعود إلى الوراء .. تقريباً .. إلى الفترة ما قبل الغزو العراقى للكويت مباشرة .. وقتها كان العالم كله مشغولا ومنبهرا بالتغيرات الحادة والعميقة التى تحدث فى الكتلة الشرقية – الشيوعية – بما فيها الإتحاد السوفيتى يدركان أن استمرار هذه التغيرات وانهيار النظام الشيوعى انما هو أساسا مرتهن بما يمكن أن يقدمان من مساعدات إقتصادية ..!

فى نفس الوقت تقريباً بدأت نظرية أوروبا الموحدة تفرض نفسها على العالم كنظرية جديدة وأصبح التكتل الأوربى الذى بدأ بالفعل كنظرية إقتصادية حقيقية واقعة تظهر إلى الوجود ..

من ناحية أخرى كانت اليابان ومجموعة دول جنوب شرق أسيا تفكر فيما بينها فى هذا العملاق الأوربى الجديد الذى بدأ وكأنه على وشك أن يولد ..! وبدأ أيضا أن هناك ثمة اتجاه لتكوين أسيوى بزعامة اليابان لمواجهة العملاق الأوربى الجديد ..!!

وبالنسبة لما حدث ويحدث فى الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة، والكتلة الشيوعية بصفة عامة فأن أحد النتائج التى بدأ العالم يدركها خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية والغرب واليابان هى أن *انهيار النظام الشيوعى سيؤدى حتما إلى " خلو" العالم من إحدي القوتين الأعظم* ..!! ولأن حركة التاريخ كانت تعتمد انما على وجود قوتين أعظم فى أى عصر من العصور التى مرت بها البشرية .. بل ولأن استمرار العالم كان دائماً مرهون بوجود نوع من التوازن يحققه وجود قوتين دائماً مهما اختلفت المسميات ـ فان السؤال الذى بات يطرح نفسه عقب المتغيرات التى شهدها العالم الشيوعى هو : ماهى القوة الجديدة التى ستحل محل الكتلة الشرقية وتحقق نظرية التوازن العالمى ..؟! هل هى أوروبا الموحدة التى بدأت تظهر للوجود كحقيقة واقعة ؟!! أم أنها اليابان وجدانها والتى بدأت تلوح فى الأفق كفكرة قابلة للتنفيذ ؟!!

وسواء كانت أوروبا الموحدة هى القوة التى رشحتها حركة التاريخ لهذا الدور أم كانت اليابان ـ فان كلا الفريقين قد بدأ يبحث عن الوقود الذى سيستمد منه الطاقة التى بها لاحتلال موقعه الجديد ..!!

وهكذا بدأت أوروبا .. *واليابان أيضاً فى الاتجاه إلى منطقة الشرق الأوسط .. التى* تحتفظ داخل أراضيها بثروة بترولية ضخمة .. وفى ذلك الوقت بالتحديد ظهرت فى الصحف والجرائد العالمية أنباء عن اتصالات خليجية ـ أوربية، واتصالات خليجية ـ يابانية .. وجميعها تتحدث عن استيراد التكنولوچيا المتقدمة لمنطقة الخليج العربى ..!

لابد أن المقابل سوف يكون حصص بترولية أكبر .. أو ضمان حصص بترولية أكبر فى المستقبل .. وبدت الصورة وكأن هناك تنافساً بين أوروبا واليابان على ضمان الحصول على مزيد من البترول الذى سوف يدور حوله الصراع حيث ظلت فرنسا وحتى نشوب حرب تحرير الكويت فعلا .. أو فيما سمى بحرب " عاصفة الصحراء " ظلت تحاول بكل ما يمكنها من جهد أن تقود السفينة إلى بر الأمان وأن تحل الأزمة بالوسائل السلمية وتحول دون حدوث مواجهة

عسكرية بداية .. وأذن تفاقم هذه المواجهة بعد اندلاع شرارة المعارك البرية ...

كانت فرنسا وهى إحدي الدول التى بدأت بالفعل تحركاً نحو دول الخليج لتزويدها بالتكنولوجيا المتقدمة وذلك فى مقابل حصولها على البترول ـ كانت تدرك تماماً أن قيام الولايات المتحدة الأمريكية باللجوء إلى استخدام العسكرية ضد العراق يعنى انفرادها بعد ذلك بالسيطرة على المنطقة .. على اعتبار من يفرض نوع التسوية هو الذى سوف يتحكم فى الموقف بعد التسوية ..!!

ولم تشترك فرنسا فى العمليات العسكرية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية الا بعد أن أدركت تماماً أن الحل العسكرى هو الذى سيفرض نفسه ..!! ولذلك جاء اشتراكها بصورة رمزية تماماً، على الأقل خلال الأيام الأولى لبدء العمليات العسكرية ..!!

أما المحصلة النهائية لاسترجاع هذه الفترة من التاريخ القريب .. فترة ما قبل أزمة الخليج مباشرة فانما تبين لنا إلى أى مدى تحركت الولايات المتحدة الأمريكية ..! وإلى أى مدى حاولت ونجحت فى تأمين مصالحها المستقبلية فما يختص بالثروة البترولية ..!!

والتاريخ ليس قصصاً وحكايات ولكنه يساعدنا على قراءة { المستقبل ..! فما الذى يفيدنا من استعراض أزمة الخليج ؟! وما قبل أزمة الخليج ..؟!

لعله من الخطأ أن نصور ما يحدث بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على أنه خلاف بين إسرائيل وأمريكا ..!! بل الصحيح أنه خلاف بين إسرائيل وبين أمريكا ..!! وبين الولايات المتحدة الأمريكية چورچ بوش، ووزير خارجية جيمس بيكر .. هما أطراف الخلاف مع إسرائيل..!!

ولقد تعرفت الدولتين من قبل لخلاف بهذا الشكل ـ وإن اختلفت الأسباب بالطبع ـ أكثر من مره ..!! ولعل أبرز الأمثلة لهذا الخلاف الذى حدث فى فترة الخمسينات بين الرئيس الأمريكى أيزنهاور وبين إسرائيل ـ العدوان الثلاثى على مصر .. عام ١٩٥٦ ـ حيث طلب وقتها أيزنهاور من إسرائيل أن تنسحب فوراً من سيناء .. وانصاعت إسرائيل ـ مرغمة ـ لطلب أيزنهاور وانسحبت وظل خلافاً بينهما وبين الرئيس الأمريكى أيزنهاور ..!! ولكنه ابداً لم يكن خلافاً بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ..!! بدليل ماحدث بعد ذلك من انحياز كامل للسياسة الأمريكية تجاه إسرائيل .. وضد العرب ..!!

فى كتاب صدر مؤخراً بعنوان : " التحيز " علاقات أمريكا السرية مع إسرائيل المتشددة "

كشف مؤلف الكتاب وهو أمريكي يدعى " ستيفن جدين " عمل لفترة طويلة فى هيئة تابعة للحكومة الأمريكية .. وتقلد مناصب أخرى كان لها علاقة بالسياسة الخارجية الأمريكية .. كشف عن العلاقات السرية العسكرية الثنائية بين أمريكا وإسرائيل فى العهود المتتالية للرؤساء الأمريكيين المتعاقبين ..

وقد اطلع المؤلف على أكثر من مائة وثيقة سرية أرسلها حوالى ٢٢ عميلا من عملاء المخابرات السرية لدول أجنبية، وقضى حوالى عامين كاملين يجمع المعلومات من الوثائق الوطنية، كما قضى وقتاً طويلاً يبحث عن المعلومات فى مكتبات الرئاسة الأمريكية، بالإضافة إلى المعلومات الخاصة التى استطاع أن يجمعها عن طريق صلاته الشخصية ..!!

وقد تناول المؤلف فى كتابه حرب عام ١٩٦٧ كاشفاً عن حجم دور الولايات المتحدة الأمريكية فى تلك الحرب ..!! وأمثلة تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل كثيرة ومتنوعة ..!!

ففى عامى ١٩٦٤، ١٩٦٥ مارست إسرائيل تفوقها العسكرى على جيرانها العرب بطرق عملية ففى أوائل عام ١٩٦٤ استكمل حفر القناة لتوصيل مياه البحيرة جدية إلى النقب .. وقد بدأت عمليات الفخ المدعمة خلال صيف نفس العام .. وظلت الدول العربية لمدة طويلة تعلن أنها سوف تعارض بالقوة هذا التحويل للمياه من طرف واحد .. غير أن تلك التهديدات كانت فى الواقع مجرد تهديدات جوفاء حيث أنها لم تكن لديها القوة العسكرية التى تسمح لها بالتدخل ..!! وعندما بدأت سوريا مشروع تحويل للمياه على بعد ثلاثة كيلو مترات داخل الحدود فى مارس عام ١٩٦٥ سارعت إسرائيل بإطلاق النار على المشروع مستخدمة فى ذلك المدفعية الثقيلة والدبابات ..!

وكان "دين راسك" وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت قد طلب من "باربو" السفير الأمريكى فى تل أبيب أن يتدخل لدى الإسرائيليين لمنعهم من القيام بعمل عسكرى ضد المشروع السورى لتحويل المياه .. وقد هدد أيضا بممارسة ضغوط إقتصادية أمريكية إلى جانب اتخاذ إجراء ضد إسرائيل فى الأمم المتحدة ..!!

غير أن هذا لم يحدث بالفعل ..!! وعندما كانت الحرب الثالثة ـ حرب عام ١٩٦٧ ـ قد اصبحت أمرا حتميا اعتبارا من عام ١٩٦٥ إلى أن وقعت فى يونيو عام ١٩٦٧ كانت القوة الإسرائيلية قد نمت إلى الحد الذى تستطيع به الوقوف أمام العرب ..!! وقد تضمن الاحتفال بعيد الاستقلال الذى أقيم فى القدس خلال شهر إبريل عام ١٩٦٧ عرضاً عسكرياً ضخماً

اشتركت فيه الدبابات والمعدات الثقيلة الأخرى الأمريكية الصنع والتى كانت قد وصلت مؤخراً إلى إسرائيل آنذاك ..!!

حينما بدت الحرب وشيكة كان أمام الإدارة الأمريكية على ما يبدو خياران : أما أن تترك للإسرائيليين أن يقرروا أفضل طريقة لحماية مصالحهم الوطنية واطلاق العنان لهم ..!! أو تتوسط بجدية من أجل حل الأزمة والحيلولة دون وقوع الاشتباك بين جيوش الجانبين .. وقد اقترح "ارسك" وزير الخارجية الأمريكى آنذاك على الرئيس الأمريكي "جونسون" .

الحل الثانى .. قال " أن قيام إسرائيل بإجراء وقائى سوف يضع الولايات المتحدة أمام موقف صعب للغاية ..!! وأن الوضع الخاص بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية للعالم .. كإحدي القوتين العظمتين .. يجعل لزاماً على الشعب الأمريكى اتخاذ الإجراء اللازم إذا كان " الخطأ على الجانب الأخر ولم يكن هناك بديل ومن ثم فاننا نعتبر تحديد المسئولية عن بدء الأعمال العدائية مشكلة هامة بالنسبة لنا ولكن هل هذا حدث ..؟!

فى الواقع أنه كان هناك خيار محتمل أمام الإدارة الأمريكية .. وهو أن تحاول علناً الوصول إلى حل للنزا ع بالوسائل السلمية .. فى حين تقوم سراً " بإطلاق العنان " للإسرائيليين وهذا هو ما حدث تماماً . !!

ففى اجتماع تم بين " أبا أيبان " و " ليندون جونسون " يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ استخدم بيان مكتوب يلزم حكومته الولايات المتحدة الأمريكية بالمحافظة على الوحدة الإقليمية لدول الشرق الأوسط إلى جانب استخدام الوسائل الدبلوماسية المتاحة لإيجاد حل سلمى للنزا ع .!

وبعد أسبوع بعث الرئيس الأمريكى برسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى " ليفى اشكول " قال فيها : " يجب أن أؤكد ضرورة أن لا تجعل إسرائيل نفسها مسئولة عن بدء الأعمال العدائية ... فإسرائيل لن تكون وحدها .. ما لم تقرر أن تمضى وحدها ... ونحن لا نستطيع أن نتصور أنها سوف تتخذ هذا القرار .. (!!!) والحقيقة أن أهداف الإدارة الأمريكية فى الشرق الأوسط كان من الممكن أن تتحقق من خلال " ضربه واحدة " إذا ما أطلق العنان للإسرائيليين من قبل أمريكا ....!! فسوف يمكن أحراج السوفيت فى منطقة الشرق الأوسط من خلال التدمير الكامل لجيوش الدول التى كان السوفيت يغدقون عليهم السلاح على مدى أربع سنوات مضت (حينذاك) وسوف يمكن تدمير معظم المعدات التى أرسلها الاتحاد السوفيتى إلى الشرق الأوسط ، وإختبار أداء الأسلحة الأخرى فى مواجهة الأسلحة السوفيتية المقابلة ... كما أنه

سيمكن أسقاط حكم جمال عبد الناصر ... ! كما أنه سيمكن للإسرائيليين الاستيلاء على أراضى قد يستطيعون من خلالها بعد فترة زمنية أن يرغموا دول خط المواجهة العربية فى نهاية الأمر على الجلوس على مائدة المفاوضات ... للتفاوض بصوره جدية بشأن المسائل الأساسية التى يختلف عليها العرب واليهود فى الشرق الأوسط .

والأهم من هذا كله ـ من وجهة نظر الإدارة الأمريكية ـ حماية مصالحها فى المنطقة التى قد أنفتح بابها مؤخرا للسوفيت ...!! ولم تكن هذه الإدارة تتصور أمكانية توزيع الثروات النفطية بينها وبين أى طرف أخر فى المستقبل ...!!

وكان أحد أهم المتطلبات الأساسية لتحقيق كل ذلك انتصار إسرائيلى سريع ونظيف فى ميدان القتال ... !!

وكان الرئيس الأمريكى ليندون جونسون .. حريصاً كل الحرص على التاكد من هذا .. وقد تاكد جيدا ...!!

ففى اجتماع مع مجلس الأمن القومى الأمريكى ظهر يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ طلب جونسون الإطلاع من جديد على القدرة الإسرائلية .. وكان الرئيس الأمريكى يلح على يد المخابرات لعدة أيام متتالية بل وقبل هذا الاجتماع وذلك من أجل الحصول على تقديرات خاصه بقدرة الإسرائيليين على صد هجوم مشترك من قبل العرب .... !!

وقد تم بالفعل أبلاغه بأن إسرائيل سوف تكسب حرباً ضد دولة واحدة أو ضد كافة الدول العربية إذا كانت بتوجيه الضربة الأولى فى غضون أسبوع تقريبا ...!! ومع كل هذا فقد طلب جونسون فى اجتماع لمجلس الأمن القومى الأمريكى و وزراة الخارجية الأمريكية القيام بعملية تطوير ومراجعة للتقديرات عن قدرة وقوة الطرفين ... وكانت النتيجة التى تسلمها الرئيس الأمريكى يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ تقدير من المخابرات الأمريكية المركزية يبين ويوضح بشىء من التفصيل كيفية أحراز النصر الإسرائيلى ...!!! ؟ هجوم جوى إسرائيلى سريع ومكثف يصحبه توغل للمدرعات داخل سيناء فى أتجاه قناة السويس (!!!)

ولم تكتفى الولايات المتحدة الأمريكية بكل ذلك ...!! فقد كانت هناك أنواع أخرى للمساعدات الأمريكية والتى كانت تحتاج إليها إسرائيل ـ ليس لكسب الحرب والتى كان بأستطاعتها كسبها بسهوله وبأسلوبها الخاص ولكن لتحقيق الأهداف الإقليمية التى حددوها منذ البداية ...!!

كان الإسرائيليون فى حاجة إلى التاكد من أن السوفيت لن يتدخلوا ... وفى صبيحة يوم ٥

يونيو ١٩٦٧ عندما قامت إسرائيل بشن هجماتها الجوية على أربع دول عربية بعث " ليفى اشكول " برسالة إلى " ليندون چونسون " يطلب فيها منه بصفة خاصة الحماية الأمريكية لإسرائيل فى حالة تدخل الروس ..!!

وفى يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أصبح ذلك الأمر لزاما .. فالغزو الإسرائيلى لسوريا رغم أن جمال عبد الناصر قد وافق رسميا على قرار الأمم المتحدة بوقف أطلاق النار ..! وقد أضطر الاتحاد السوفيتى بسبب ذلك للتدخل وأتصل " اليكس كوسيجين " رئيس الوزراء السوفيتى هاتفيا يبلغ الرئيس الأمريكى " ليندون چونسون " بأن الإسرائيليين ذهبوا بعيدا جدا ..!! وأنه يتعين على السوفيت أن يتدخلوا بشكل مباشر ..!!

وبعد اجتماع قصير فى البيت الأبيض صدرت الأوامر للأسطول السادس الأمريكى كله بأن يستدير ويتجه إلى شرق البحر الأبيض المتوسط ..!!

كان عملا أستفزازيا محفوفا بالمخاطر فيما يتعلق برد الفعل السوفيتى ولكن جرى تنفيذه فى الحال (!!!) ..

ولم يقف الدور الأمريكى عند هذا الحد ..!! ففى يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ أعتمد چونسون شحنة جوية طارئة من العربات المدرعة الناقلة للجنود وقطع غيار الدبابات وقطع غيار صواريخ " هوك " للدفاع الجوى وزخائر متنوعة وكل هذه الأسلحة تم تعبئتها وأرسالها إلى إسرائيل قبل غزو ٥ يونيو ١٩٦٧ .. فى وقت اعلن فيه الرئيس الأمريكى ليندون چونسون " الحظر " على جميع الأسلحة المتجهة إلى الشرق الأوسط ..!! فهل كان هناك شخصان داخل البيت الأبيض الأمريكى يحمل كل منهما أسم " ليندون چونسون " ؟؟!!

على أية حال فأن هذا السيناريو يصور أن التاريخ دائما تجربة قابلة للتكرر .. ، وأن هذا التحيز الأمريكى لإسرائيل تحيز أبدى خاصة وأن مصالح الدولتين متفقة إلى حد كبير ..! وأنه لا يجوز أن تنخدع الأطراف العربية بالخلافات التى تتفجر على السطح بين الحين والحين .. لان مثل هذه الخلافات فى الواقع خلافات شكلية أكثر منها خلافات واقعية ..! ثم أن الساسة فى الدولتين قادرين دائما على إيقاف سير هذه الخلافات بطريقة مناسبة وتوقيت مناسب ..!

والخلاف الآن بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل أنما هو خلاف حدث بسبب ضغوط "خفية " مارستها الولايات المتحدة الأمريكية على إسرائيل بسبب استمرار إسرائيل فى سياسة الاستيطان والتى تتنافى أساسا مع المبدأ الذى يمكن أن تشترك على أساسه الأطراف العربية

فى مؤتمر السلام ..!

والولايات المتحدة الأمريكية تعلم أن أصرار إسرائيل على أتباع هذه السياسة يعنى نسف هذا المبدأ نسفاً كاملاً .. فما الذى يتصور العرب أن يحصلوا عليه مقابل السلام مع إسرائيل ..؟! ولابد أن المأزق الذى تواجهه الولايات المتحدة قبل مؤتمر السلام هو ما تقدمه أمريكا من ضمانات ..!! أن الضمان الوحيد المقبول هو الانسحاب الإسرائيلى .. واستمرار سياسة الاستيطان معناه أن أمريكا لا تستطيع أن تقدم للعرب شيئا ومعناه أيضا أنها لا تستطيع أن تطلب منهم شيئا ..!!

ولذلك فأن السيناريو يفترض أن ينتهى هذا الخلاف " الشكلى " سريعا ويكون بمثابة موقف يحتسب للولايات المتحدة الأمريكية أمام العرب .. فإذا حدث هذا فلابد أن الأطراف العربية سوف تقدم فى المقابل شيئا .

ولكن هل سيؤدى هذا كله إلى مؤتمر السلام ..؟ سيحدث هذا بالفعل .. كما يصور السيناريو ، وبمجرد انعقاده ستنبثق عنه لجان عديدة .. تناقش القضايا الرئيسية والفرعية والتفاصيل وتفصيل التفاصيل .. وسوف يكتشف الجميع أن كل ما تفعله إسرائيل هو محاولة أطالة فترة هذه المفاوضات .. وربما إلى أجل غير مسمى ..!

وإسرائيل لها باع طويل فى ذلك .. ولديها الخبرة من الكثير فى هذا الشأن .. فقد أطالت المفاوضات بين مصر وإسرائيل .. وقبل الإتفاق النهائى بشكل لافت للنظر ..! وقد فعلت إسرائيل هذا وهى تعلم مسبقا وفى نيتها أنها سوف تتخلى عن سيناء ..!!

فماذا ستكون الصورة وهى تعلم تماما أنها لن تتخلى عن الجولان ..!! حتى ولو بصورة جزئية ..! فهى تعتبر الجولان منتهى العمق الإستراتيجي لنظرية أمنها القومى .. وهى تعلم تماما أن لها أطماعا وتوسعات لم تعد قادرة على سترها .. وهى فى نفس الوقت مستمرة فى أحضار المزيد من المهاجرين اليهود إلى أرضها ..!

وكل هذا معناه الوحيد أن مؤتمر السلام لن ينتهى إلى السلام وأنما إلى فترة قد تطول أو تقصر ولكن حتما ـ وكما يصور هذا السيناريو ـ فستكون هذه الفترة مقدمة لحرب خامسة ...!! حرب تحاول خلالها إسرائيل تحقيق أهدافها ومصالحها .. وأهمها حل مشكلة نقص موارد المياه والتى ستمثل بالنسبة لها كارثة فيما لو لم تتحرك ..! مع الوضع فى الإعتبار أن هذه المصالح تتفق فى النهاية مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية التى يهمها تماما تفريغ المنطقة

من أى قوة عسكرية تهدد مصالحها البترولية وهى تعلم أن المنطقة سوف تكون محل أطماع القوة الجديدة التى يمكن أن تحل محل الاتحاد السوفيتى ..!

وسوف تبدو الولايات المتحدة الأمريكية وكأنها تسعى جاهدة لمنع نشوب هذه الحرب ، وسوف تبدو وكأنها تبذل كل جهدها لأحياء مشروع السلام .. ولكنها فى الواقع ستكون قد أطلقت لإسرائيل كل العنان (!!!)

الفهرست



هو محاولة لوضع بعض النقاط .. على الحروف لما قبل ، ما أصطلح على تسميته بـ«أزمة الخليج » ، وما تلا ذلك من تداعيات لعل اهمها " مؤتمر السلام" الذى حضرته الوفود العربية متجردة من كل عوامل القوة التى يمكن أن تفى بالمطالب المبدئية والمشروعة للشعب الفلسطينى ، و ذلك تحت مظلة "النظام العالمى الجديد .. والذى يلعب فيه الغرب الدور الأول والاخير ..!

كما يقدم الكتاب عدة سيناريوهات محتملة لما يمكن أن تسفر عنه مباحثات مؤتمر مدريد والتى ستكون نتائجها النهائية أقل بكثير مما كان يمكن أن يحصل عليه العرب منذ عشر سنوات .

والكاتب هو الأستاذ مدحت فؤاد الصحفى بمجلة أكتوبر ــ الأسبوعية ، ومراسل عدد من الصحف والمجلات العربية والاجنبية ، وله العديد من الدراسات والأبحاث المغلقة التوزيع .



